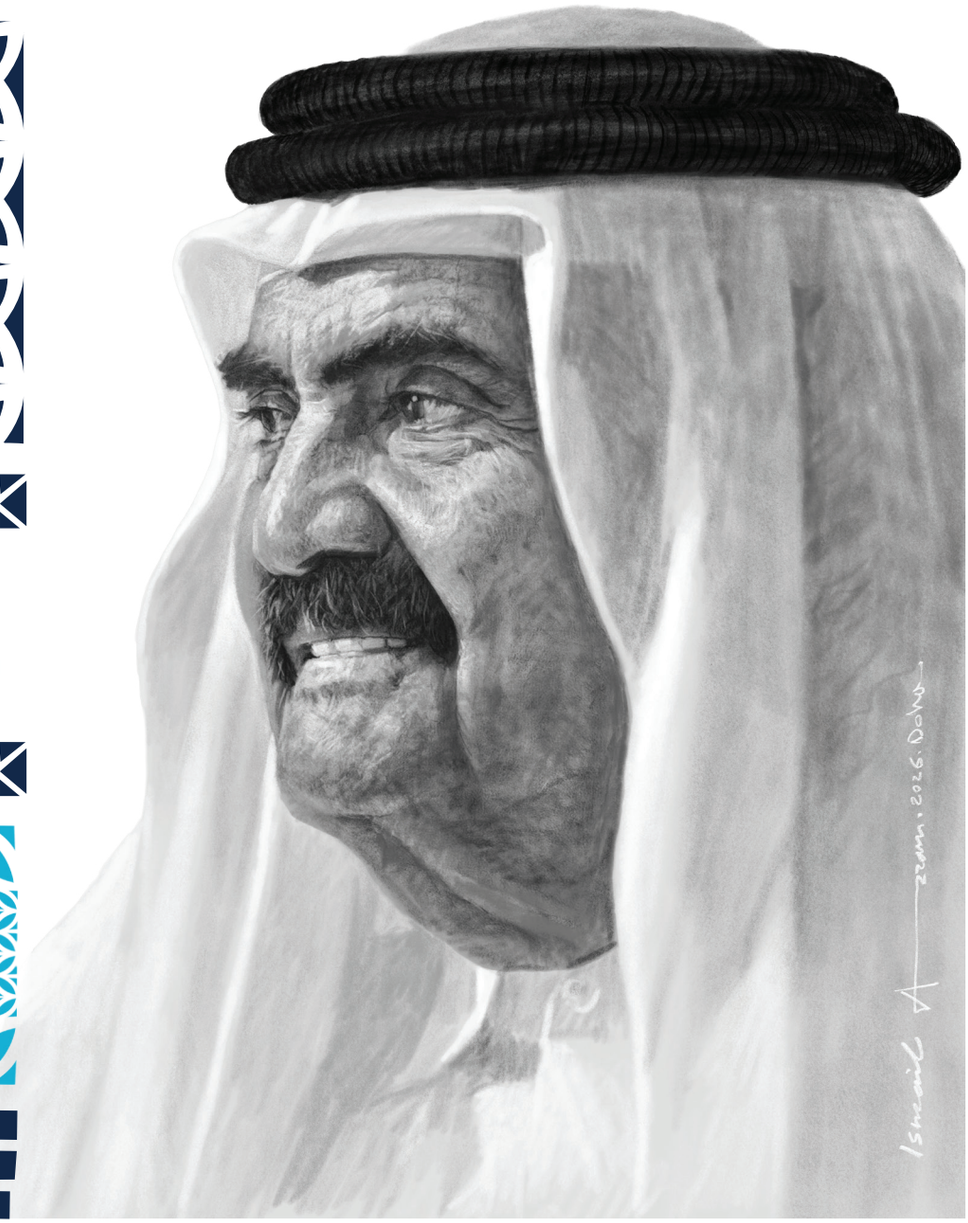
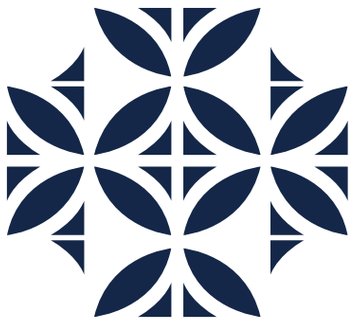
مجلة الدوحة

ثقافية فصلية
العدد ١٢٢ صيف ٢٠٢٥

في وداع باني نهضة قطر الحديثة



الإرث الثقافي
لفقيد الوطن



الافتتاحية

رحيل العُود

رحلَ الرَّجلُ الكبيرُ، صاحبُ اليدِ البيضاء والابتسامةِ الصافية؛ الأميرُ الوالد الشيخُ حمد بن خليفة آل ثاني باني قطر الحديثة.

في مقامِهِ السَّامي، كلُّ كلمةٍ تأخذُ أقصى معانيها وأصدقَها، فما كان يقولُه، اليوم، ويبدو حديثًا عابرًا أو حُلمًا بعيدَ المنال، يصبحُ، غدًا، واقعًا ملموسًا على مَرأى العين.

قائدٌ مُلهَمٌ، وإنسانٌ فَذٌّ، منحَهُ الله لشعبِ قطرَ بل لأبناءِ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة جمعاءَ، في حقبةٍ من أصعب الحقبِ، وأكثرِها غموضًا وحِلْكةً والتباسًا؛ فقرَّر - دونَ تردُّدٍ - أنْ يقودَ سفينةَ الدولةِ الصغيرةِ، وسطَ الأمواجِ المتلاطمةِ، إلى برِّ الأمان والتقدُّم والرَّخاء.

عندما تكونُ التحدّياتُ كبيرةً، لا بدَّ أنْ يكونَ مَنْ يتصدَّى لها جديرًا بمُواجهتها، وهكذا كان الأميرُ الوالدُ (رحمه الله تعالى)، بحسب اللهجةِ القطريّةِ؛ تَحبُّبًا: "العُوْد".

نعم، كان الأميرُ الوالدُ "كبيرًا"، شُجاعًا وحَكيمًا، بعَونِ الله وبركتِه، وتأييدِ شعبِه والتفافِه حول الرَّجلِ الذي جاءَ في وقتِهِ تمامًا؛ بلا شعاراتٍ ونظرياتٍ ومقولاتٍ مُسهبةٍ، بكلّ بساطة، "القائد العُوْد" أحبَّ بلدَهُ وشعبَهُ، والمُقيمين على أرضِهِ، فأعطاهُم من طيبِ أصلِهِ، وكرمِ معدنِهِ، ما جادَ بهِ العليُّ العظيمُ لهذا الوطن الحبيب، من ثروةٍ استثمرَها خيرَ استثمار، في الإنسان، أوّلاً، فأطلقَ طاقاتِهِ الكامنةَ، حتى بلغتْ بطموحاتِها عنانَ السماء.

كان عهدُه (1995 - 2013) مليئًا بالأحداث، زاخرًا بالعطاء، يعجزُ المرءُ عن سردِ مفرداتِهِ كاملةً في كلّ المجالاتِ، ويعزُّ الأمرُ أكثرَ حينَ يتعلَّقُ بالثقافةِ التي شهدتْ، خلال سنوات حكمِهِ، نقلةً نوعيَّة غير مسبوقة، تَعانقَ فيها التراثُ مع الحداثة، والأصالةُ مع المعاصرة، في صورةٍ إبداعيَّةٍ عربيَّةٍ مشرقة.

في كلِّ بيت من بيوت قطر، تجد أبًا وجدًّا وحفيدًا، امرأةً وطفلةً، موظفًا وعاملاً، رجلَ أعمالٍ ومُتقاعدًا عاش الحياةَ بكلِّ دروسها، طالبَ علمٍ وجنديًّا يحرسُ الثغورَ والأجواءَ ليلَ نهارَ.. أدركَ ما تركَهُ هذا القائدُ المتواضعُ العملاقُ من محبَّةٍ لا تخفى، وها هي تلمعُ في الأعين، وتجري على الألسن، وما زالَ وقعُ الصدمةِ بالفَقْد الجَلل جَليًّا.

دفَّانُ الفقرِ، الأميرُ البشوشُ، سكنَ القلوبَ وسحرَ العقولَ وأدهشَ القريبَ والبعيدَ، ومنذ يومِ الرَّحيل الحزين، (11 يوليو، 2016)، تتواردُ القصصُ والتفاصيلُ والمواقفُ الكثيرةُ التي ميَّزت فترة تولّيهِ مقاليد الحكم في البلاد، في الداخلِ والخارج، وكلُّها تشيرُ إلى المكانةِ التي حظيَ بها سموُّه، ولعلَّ أكثرها تأثيرًا تلك اللحظة التي تنازلَ فيها عن الحكمِ لوليدِه، حضرة صاحب السموِّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، أمير البلاد المفدَّى، بعد أنْ اطمأنَّ على متانة الأسس التي بناها، وثبات القواعد التي أرساها، ليكملَ الجيلُ الجديدُ، بقيادةٍ واعيةٍ شابةٍ، مسيرةَ النهوض والازدهار.



فيلم من إنتاج مجلة الدوحة يتناول الإرث الثقافي
لفقيد الوطن الكبير صاحب السمو الأمير الوالد
الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني رحمه الله

مجلة الدوحة

ثقافية فصلية

العدد ١٢٨ صيف ٢٠٢٥

تصدر عن:

وزارة الثقافة
Ministry of Culture
State of Qatar • دولة قطر

صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٥



رئيس التحرير:
مبارك عبد الله آل خليفة

جميع المشاركات ترسل باسم رئيس التحرير عبر البريد الإلكتروني للمجلة
أو على قرص مدمج في حدود 1000 كلمة على العنوان الآتي:
ص.ب.: ٢٢٤٠٤ - الدوحة - قطر
البريد الإلكتروني: info@dohamagazine.qa
هاتف: ٤٤٠٢٢٢٥٥ (٩٧٤+) فاكس: ٤٤٠٢٢٦٥٥ (٩٧٤+)

الموزعون:

دولة قطر	• الشرق للتوزيع	١٠	ريال
الجمهورية اللبنانية	• مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	٢	دولار أمريكي
المملكة الأردنية الهاشمية	• وكالة التوزيع الأردنية	١	دينار أردني
المملكة المغربية	• الشركة الشريفية للتوزيع والصحف (سوشبريس)	٢٥	درهم مغربي
سلطنة عُمان	• مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان	٨٠٠	بيسة
الجمهورية التونسية	• الشركة التونسية للصحافة	٥	دينار تونسي
المملكة العربية السعودية	• شركة تمام العالمية (جليس)	١٠	ريال
الإمارات العربية المتحدة	• مركز القارئ العربي للنشر والتوزيع	١٠	ريال
جمهورية مصر العربية	• مؤسسة تنمية للنشر والتوزيع	٢٥	جنيه
مملكة البحرين	• فراديس للنشر والتوزيع	١	دينار

المواد المنشورة في المجلة تُعبّر عن آراء كتّابها ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة. ولا تلتزم المجلة برد أصول ما لا تنشره.

الموقع الإلكتروني:
www.dohamagazine.qa

رحيل الأمير الوالد.. باني نهضة قطر الحديثة



أحمد الشيخ: الجزيرة درَّة التاج في إنجازاته ١٨

استطلاع ٢٦
الإرث الثقافي للأمير الوالد بعيون الأدباء والفنانين

قصائد ٤٠
د. حسن النعمة – د. حجر البنعلي – مبارك بن عبد الله آل خليفة – عبد الرحمن الدليمي – فالح العجلان الهاجري – شبيب بن محمد العطية – شبيب بن عرار النعيمي – حمد بن سالم الدعية المري - عادل الكلدي اليافعي – عبد الكريم الجباري – سيدي محمد ولد بمبا.

٦٦



كتاب
الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر ١٩٩٥-٢٠١٣

مقالات

سعد الرميحي: الشيخ حمد كان قريبًا من الناس 12

د. يوسف العبيدان: القائد الذي ارتقى بدولته وشعبه 16

محمد علي المرزوقي: كبرنا معه 22

بدرية الكبيسي: الفنون ازدهرت في عصره 24

متابعات 58

مهرجان الدوحة الثقافي..

حين أصبحت الثقافة مشروع دولة



مقالات 10

د. حمد بن عبد العزيز الكواري: الأمير الوالد والثقافة والإعلام

ترجمة 64

جائزة الشيخ حمد بن خليفة للترجمة

والتفاهم الدولي



الأمير الوالد والثقافة والإعلام رؤية صنعت المستقبل



د. حمد بن عبدالعزيز الكواري
وزير الدولة، رئيس مكتبة قطر الوطنيَّة

حين يُكتَبُ عن سموِّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، كثيرًا ما يُشار إلى الإنجازات السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والتنمويَّة التي غيَّرت وجه دولة قطر. غير أن جانبًا لا يقلُّ أهمِّيَّة عن ذلك كلِّه يتمثَّل في رؤيته العميقة للثقافة والإعلام، وإيمانه بأن نهضة الأمم لا تُقاس بما تبنيه من عمران فحسب، بل بما تبنيه من إنسان، وما تنتجه من معرفة، وما تقدِّمه من رسالة حضاريَّة، أيضًا.

لقد نظر إلى الثقافة والإعلام والتراث بوصفها منظومة واحدة، هدفها ترسيخ الهويَّة الوطنيَّة، والانفتاح الواعي على العالم، وصناعة حضور دوليٍّ لدولة قطر يقوم على الفكر والحوار والإبداع، تمامًا كما يقوم على التنمية والاقتصاد.

وفي الجانب الإعلاميِّ، امتلك رؤية سبقت عصرها؛ فقد آمن بأن الإعلام الحرَّ والمسؤول هو أحد مقوِّمات الدولة الحديثة، وأن تأثير الدولة لا يتحقَّق بما تملكه من إمكانات فحسب، بل بما تملكه من قدرة على مخاطبة العالم، أيضًا. ومن هذه الرؤية، جاءت شبكة الجزيرة، التي لم تكن قناة تلفزيونيَّة فحسب، بل مشروعًا إعلاميًّا غيَّر وجه الإعلام العربي، ثم امتد إلى العالميَّة عبر الجزيرة الإنكليزيَّة ومؤسَّساتها التدريبيَّة والإعلاميَّة المختلفة أيضًا، لتصبح قطر حاضرة في المشهد الإعلاميِّ العالميِّ بصورة لم تكن معهودة في المنطقة.

وقد عشتُ جانبًا من هذه التجربة عن قرب؛ فعندما استدعاني من واشنطن لأتولَّى وزارة الإعلام، أدركتُ، منذ اللحظة الأولى، أنني أمام مشروع يتجاوز إدارة وزارة إلى إعادة صياغة مفهوم الإعلام في قطر. بدأنا بتوسيع هامش الحرِّيَّة في البرامج والحوار، وكان يتابعُ التفاصيل بصورة مستمرَّة، يدعم، ويشجِّع، ويذلِّل العقبات، حتى جاء قراره التاريخيُّ بإلغاء وزارة الإعلام، في خطوة جسَّدت إيمانه بأن الإعلام الحقيقيَّ لا يزدهر داخل القيود التقليديَّة، بل في فضاءٍ أكثر استقلالاً واتِّساعًا.

أمَّا الثقافة، فقد كانت، في فكره، مشروعًا وطنيًّا طويل المدى. كان يحدِّثني، وأنا سفير، عن رؤيته للدوحة، لا بوصفها عاصمة سياسيَّة أو اقتصاديَّة فحسب، بل بوصفها عاصمة للثقافة العربيَّة والإسلاميَّة، بل مركزًا عالميًّا للحوار الثقافي، أيضًا. ولم تكن تلك أحلامًا يردِّدها، إنما خطَّة متكاملة، يختار لها الرجال، ويتابع تنفيذها بنفسه، ويقدِّم كلَّ ما يلزم لإنجاحها.

ومن هنا، جاء الاهتمام بإنشاء المؤسَّسات الثقافيَّة الكبرى، والمتاحف العالميَّة، والمكتبات، والمدينة التعليميَّة، واستقطاب أعرق الجامعات العالميَّة، إلى جانب الحفاظ على التراث الوطنيِّ، وتشجيع الأدب والفنون، وإحياء الحرَف التقليديَّة، وصون الهويَّة القطريَّة في ظلِّ انفتاحٍ مدروسٍ على العالم.

وكان من المحطَّات المهمَّة في هذه المسيرة، تأسيس هيئة الثقافة التي حقَّق، خلالها، المرحوم الشيخ سعود بن محمَّد آل ثاني نقلة نوعيَّة كبيرة، مدعومًا بثقة سموِّ الأمير الوالد ورؤيته الجريئة. ثم جاء تأسيس هيئة متاحف قطر، برئاسة سعادة الشيخة المياسة بنت حمد بن خليفة آل ثاني، التي أثبتت - بثقافتها الواسعة، ورؤيتها العالميَّة، ودعم والدها لها - أنَّ المتاحف يمكن أن تكون جسرًا للحوار الحضاريِّ، تتحوَّل قطر، من خلاله، إلى واحدة من أهمِّ العواصم الثقافيَّة في العالم.

وفي عام (2007)، استدعاني سموُّه، وأبلغني أنه يعتزم تكليفي بأوَّل وزارة مستقلَّة للثقافة، وكان رجائي إليه أن تكون وزارة للثقافة وحدها، دون أن تُحمَّل بمهام أخرى، لأن الثقافة تستحقُّ التفرغ الكامل، فابتسم وقال: "هذا ما يتَّفق مع رؤيتي". وفي أواخر عام (2008)، صدر قرار إنشاء وزارة الثقافة والفنون والتراث.

وكان أوَّل اختبار حقيقيٍّ يتمثَّل في تبعيَّة المتاحف، وعلى الرغم من الرغبة في ضمِّها إلى الوزارة، رأيتُ أنَّ المصلحة الوطنيَّة تقتضي بقاءها مستقلَّة؛ لما تتطلَّبه من رؤية مختلفة وإمكانات خاصَّة، ولأنَّ وزارة الثقافة، وفق طموح الأمير الوالد، كانت وحدها



سمو الأمير الوالد رحمه الله وسعادة وزير الدولة الدكتور حمد بن عبد العزيز الكواري

مشروعًا ضخمًا يحتاج إلى كلّ الجهد. وبعد نقاشات مطوَّلة، اقتنع سموُّه بهذا الرأي، وبقيت المتاحف مستقلَّة، وهو قرار أثبتت السنوات صوابه، وأكَّدت الإنجازات اللاحقة التي حقَّقتها الشيخة الميَّاسة أنّ هذا الخيار كان في مصلحة الثقافة القطريّة.

ثم جاء التحدّي الأكبر: الدوحة عاصمة للثقافة العربيَّة عام (2010)؛ كان الوقت قصيرًا، والطموح كبيرًا. وعندما عرضنا الخطَّة على سموِّ الأمير الوالد، قال عبارة ما زالت ترنُّ في ذاكرتي: "لا شكَّ لديَّ في نجاحكم في جعل الدوحة عاصمة للثقافة لعام واحد، ولكني أريدها عاصمة دائمة للثقافة".

كانت تلك الكلمات برنامج عمل، لا أمنية فحسب. فعملنا تحت هذا الشعار، وأصبح عام (2010) نقطة تحوُّل حقيقيَّة في تاريخ الثقافة القطريَّة. وكان شعارنا آنذاك: "الثقافة العربيَّة وطنًا... والدوحة عاصمةً". ولم يكن ذلك شعارًا احتفاليًّا، بل تعبيرًا عن رؤية آمن بها صاحبها، وعمل على تحقيقها، حتى أصبحت الدوحة، اليوم، إحدى أبرز العواصم الثقافيَّة في المنطقة، والعالم.

هذه بعض الذكريات التي أرويها، لا باعتباري مؤرِّخًا، بل شاهدًا شارك في جانب من هذه المسيرة. وما شهدته يؤكِّد أن الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله) لم يصنع مؤسَّسات ثقافيَّة وإعلاميَّة فحسب، بل صنع -أيضًا- رؤية ما زالت تؤتي ثمارها، ورسَّخ قناعة بأن الاستثمار في الثقافة والإعلام والتراث ليس ترفًا، إنما ركيزة من ركائز بناء الدولة، وحماية الهويَّة، وتعزيز حضور الوطن بين الأمم.

لذلك، إن ما نراه، اليوم، من مكانة دوليَّة لقطر في مجالات الثقافة، والإعلام، والمتاحف، والتراث ليس نتاج قرارات متفرِّقة، إنما ثمرة رؤية بعيدة المدى، وضع أسسها الأمير الوالد، ويواصل حضرة صاحب السموِّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني (حفظه الله) تطويرها والبناء عليها، حتى أصبحت الثقافة والإعلام جزءًا أصيلاً من القوَّة الناعمة لدولة قطر وحضورها المؤثِّر في العالم.

الشيخ حمد كان قريبًا من الناس



سمو الأمير الوالد وبجانبه سعد الرميحي

سعد الرميحي
سكرتير الأمير الوالد لشؤون المتابعة سابقا

ما أجمل أن أستذكر عملي مع سموّ الأمير الوالد!، وما أروع أن أتذكّر يوم السابع والعشرين من يونيو (1995)، تاريخ تولّي حضرة صاحب السموّ الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني مقاليد الحكم في قطر!: كانت لحظة تاريخيّة عظيمة، قوبلت بإشادة بسموّه وبمكارمِه، وبسعة أفقه وصدره، وحبّه لهذه الأرض، وسعيه في أن يكون لقطر دور بارز؛ محليًّا وخليجيًّا وعربيًّا وعالميًّا.

واليوم، وبعد وفاته (رحمة الله عليه)، تذكّرتُ قصيدة من أجمل القصائد التي كتبت حين تولّى مقاليد الحكم، قصيدة سعادة الشيخ مبارك بن سيف بن أحمد آل ثاني، شاعر قطر الكبير، التي قال فيها:

"أتيتَ غيثًا لا بريقٌ ولا رعدُ

يا حاملاً زهرَ الربيع لمن حمد

أنت الذي إن جئت أكتب اسمه

فوق الثرى قال: بل إني عمد

حبُّ ومجد والشموخ تجدهما

إن قلت يومًا في ندائك: يا حمد"

هكذا، بدأت المسيرة الخالدة. واليوم - ونحن نُودِّع هذا العملاق - أستذكر هذه الأبيات الرائعة، وأستذكر نخبة من أبناء قطر الأعزّاء الذين بذلوا كثيرًا من الجهد في عهده، رحم الله من انتقل منهم إلى الدار الآخرة، وأطال في عمر الباقين.

كما استمرَّت هذه المسيرة المباركة على يد حضرة صاحب السموّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدَّى، فكان نعْمَ الخلف، ونعْمَ الرجل الذي صان الأمانة، وأدّى دورًا لا يقلُّ عن ذلك، بل سعى إلى تطوير كلّ الإمكانات التي كانت متاحة كي تكون من الأحسن، وإلى الأفضل، والتاريخ سوف يشهد أنه خلال (12) عامًا، منذ أن تولّى سيّدي سموُّ الأمير الشيخ تميم مقاليد الحكم، شهدت قطر نهضة مباركة في شتّى المجالات؛ ما يدل على أن الأمانة انتقلت فعلاً إلى يدٍ أمينة، صانتها وحافظت على مكتسبات هذا البلد.

اللقاء الأوَّل

كان لقائي الأوَّل مع سموِّ الأمير الوالد في عام (١٩٧٥)، كنت حينها صحافيًّا نشطًا، أكتب في الصحف المحلِّيَّة، وكان سموُّ الأمير الوالد يبحث عن رئيس تحرير لمجلَّة "الصقر"، وقد رشَّحني سعادة حمد بن عبد الله العطيَّة لذلك، فاستدعاني سموُّه، وذهبت للقائه، فقال لي: أنا أتابعك في التلفزيون، وأقرأ كتاباتك، ثم أضاف: نحن نبحث عن رئيس تحرير، ما رأيك؟ ثم مازحني قائلًا: لا تفكِّر، عندنا وظيفة أحسن، فقلت له لا شعوريًّا: ما هي طال عمرك؟ قال: نائب رئيس مجلس الوزراء، وفي تلك الفترة لم يكن في قطر هذا المنصب، إذ كان وليُّ العهد ينوب عن الأمير إذا غاب، فضحكنا، والتفت سموُّه إلى الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثاني الذي كان حاضرًا، وقال له: "خلاص. اطبعوا قرار تعيين سعد الرميحي رئيسًا لتحرير مجلَّة "الصقر".

مجلَّة الصقر

حين بدأت العمل رئيسًا لتحرير مجلَّة "الصقر"، اقترحت على سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثاني (وكان حينها رئيسًا للَّجنة الأولمبيَّة) تحويل المجلَّة إلى أسبوعيَّة، وقلت له إن المجلَّة الرياضيَّة تُقرَأ في يومَيْن، بسبب حبِّ الناس للرياضة، فأخذني معه إلى سموِّ الأمير الوالد، ثم تمَّت الموافقة. انطلقت المجلَّة أسبوعيَّة، وكان تأثيرها في الساحة العربيَّة تأثيرًا غير طبيعيٍّ، حيث اكتسحنا الشارع في العالم العربيِّ.

وحين زادت الأندية الرياضيَّة، وصار النشاط المحلِّيُّ كثيرًا، وأصبحت المجلَّة عالميَّة، اقترحت على الشيخ عبد الله أن نُصدر معها جريدة محلِّيَّة، فجاءتنا الموافقة من سموِّه، وبدأنا بإصدار جريدة "الصقر" الرياضيَّة أسبوعيًّا، لتغطية النشاط المحلِّيِّ، والمجلَّة تغطِّي النشاط المحلِّيَّ، والعربيَّ، والعالميَّ، وهذا كلُّه بفضل دعم سموِّ الأمير الوالد، ورعايته (رحمه الله).

في التلفزيون

مع نهاية عام (١٩٧١) طلب مني سموُّ الأمير الوالد تقديم برامج رياضيَّة في التلفزيون، وأُسندتْ إليَّ، بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلَّة الصقر، مهمَّة رئيس قسم البرامج الرياضيَّة في التلفزيون. استقطبنا زملاء، وتمَّ توظيفهم، وبدأنا بنقل المباريات الرياضيَّة العالميَّة (حصريًّا)، ثم تنوَّعت البرامج الرياضيَّة في التلفزيون، مثل ندوة الأسبوع الرياضيَّة، وغيرها.

عُيِّنتُ مديرًا لتلفزيون قطر في الأوَّل من سبتمبر، عام (١٩٧٧)، وكان البثُّ حينها يبدأ من الساعة الخامسة إلى منتصف الليل، ثم حوَّلناه، فيما بعد، من الساعة الواحدة إلى منتصف الليل، وكان الأمير الوالد من أنصار إيقاف البثِّ التلفزيونيِّ مبكِّرًا، حيث كان ضدَّ السهر، ويحبُّ أن يستيقظ الناس صباحًا، ليذهبوا إلى أعمالهم نشطين.

وأذكر أنَّ سموَّه قال لي، ذات يوم: أريد برامج حواريَّة مع الوزراء، ومع القيادات المسؤولة في الدولة، أريد أن أسمع وجهات نظرهم "أبغي أسمعهم يتكلَّمون في التلفزيون"، وفعلًا، فكَّرت في عمل برنامج "المائدة المستديرة"، واستقطبنا فيه وزراء وقيادات ومسؤولين، كانوا يتكلَّمون بكلِّ حرِّيَّة وأريحيَّة، وكان الحوار مفتوحًا مع المشاهدين.

قدَّمنا، في التلفزيون، برامج كثيرة، وقمنا بتغطية أحداث عالميَّة، فكان التلفزيون محطَّة أرضيَّة، لكن تأثيرنا في المجتمع كان قويًّا جدًّا، وقد أفسحنا المجال للمواطنين والمواطنات وكثير من النخب من أجل التحدُّث عبر التلفزيون.

مع زعماء العالم

ثمَّ انتقلت من التلفزيون للعمل مع سموِّه في الديوان الأميريِّ، من يونيو (١٩٩٥) إلى أبريل (١٩٩٧)؛ أي مدة سنة وعشرة أشهر، ولهذا الرجل أفضالٌ عليَّ، ومواقف كثيرة معي، أنا مدينٌ له بذلك، وحاملٌ لهذا الدين له، ولأولاده طوال العمر.

حضرتُ اجتماعاته ولقاءاته مع زعماء العالم: كاسترو، والملكة إليزابيث، وبوتين، وأجريت مقابلات تلفزيونيَّة مع ياسر عرفات، وعمر البشير، وعلي عبد الله صالح، وقابلت معمَّر القذافي، ورئيس الولايات المتَّحدة، وقيادات المملكة العربيَّة السعوديَّة: الملك فهد، والملك عبد الله، والملك سلمان، وسمعتُ حواراتهم مع سموِّه. لقد عملت مع قائد عظيم، والعمل مع الأمير الوالد وسامٌ كبير على صدري.



قارئٌ نهم

الأمير الوالد (رحمه الله) رجلٌ مثقَّف، وقارئٌ نهِم، وهو من زوَّار المكتبات، يشتري كثيرًا من الكتب، ويحضر – باستمرار – معرض الدوحة الدوليّ للكتاب، ويقتني عشرات الكتب، كان يتَّصل بي في الليل ليسألني: أين الكتب؟، وأين تركتها؟ فأقول له: تركتها لك في المكان الفلانيّ. أحيانًا، يشتري كتابًا ويقول لي: هذا الكتاب ضعه في الطائرة، ذكِّرني به. هذا الكتاب خذ منه نسخة أو نسختَيْن. هذا اتركه لي في بيتي، وهذا اتركه لي في المكان الفلانيّ. حين تجلس معه يقول لك: أنا قرأت لفلان كتاب كذا وكتاب كذا، وإذا ذكرتُ له كتابًا، وقلت: هذا كتاب جميل، قال: أحضر لي نسخة منه.

بيئة الأمير الوالد بيئة ثقافيَّة، فحَرَمُه صاحبة السموّ الشيخة موزا مثقَّفة ومطَّلعة، أيضًا. وحينَ أصف حضرة صاحب السموّ أمير البلاد المفدَّى، أطال الله في عمره، ثمّة عبارة أردِّدها دائمًا: "الشيخ تميم بن حمد، يملك عينَيْن على المستقبل، وذاكرة وفيَّة للتاريخ"، وهذه الصفة استمدَّها من والده (رحمه الله)، فبقدر ما يتطلَّع إلى المستقبل، لديه وفاءٌ لبلده، ولماضي بلده.

حفظ الموروث

لقد كان سموُّ الأمير الوالد حريصًا على الموروث الثقافيّ لهذا البلد، أنفق كثيرًا على إعادة إنشاء سوق واقف، ومتحف قطر الوطنيّ، والمتحف الإسلاميّ، والقلاع والأماكن التاريخيَّة، كما دَعَم كلَّ مشروع يرمز إلى تاريخ هذا البلد، وأمرَ بترميم البيوت والمساجد القديمة، والمحافظة عليها كما هي.

كان يحبُّ مشاهدة السفن المصنوعة من الخشب على كورنيش الدوحة. ذات مرَّة ذكر له حمد بن خليفة العطيَّة أن بعض أصحاب السفن يُعانون من الكُلفة، فأمرَ بأن تُصرَف لهم مكافأة سنويَّة لصيانة السفن الخشبيَّة والمراكب.

وللمحافظة على الموروث الثقافيّ القطريّ، جاء إطلاق قناة الريان، ومجلَّة الريان، وسباق الهجن والخيل، والزامِيَّة الزيّ القطريّ في المدارس، حتى لا ينسى الطفل تراثه وهويَّته في دولة قطر، وكان سموُّه إذا شاهد في التلفزيون برنامج ثقافيًّا أو وثائقيًّا، يطلب منّي تسجيل نسخة له، ليأخذها معه حين يسافر.

الصفحات الثقافيَّة

كلمني، ذات مرَّة، من لندن قائلًا: "أنا معجبٌ بالصفحات الثقافيَّة في الصحف القطريَّة، قرأتُ الملحق الثقافيّ في "الشرق"، ورأيتُ اليوم الصفحة الثقافيَّة بجريدة "الراية"، أنا سعيد جدًّا بهذا، أتمنَّى أن تستمرُّوا في ذلك"، فقراءة الصحف القطريَّة يوميًّا لم تكن تفارقه، وهو في لندن.

رافقته في طلعات العصر، ورأيت بأمِّ عيني المشاكل التي حُلَّت، فكم مرَّة أرسلني إلى أناس، قائلًا: "روح بيت فلان"، لحلّ مشكلته!

لقد كانت له مواقف إنسانيَّة عظيمة، تتجلَّى فيها إنسانيَّته. حين تقابله يعاملك كأنَّه يعرفك، حتى ولو التقيته لأوَّل مرَّة. يلتقي بأناس يحبُّونه ويحاورونه، في قطر أو في الخارج، فالأمير الوالد كان يحبُّ الناس، وقريبًا منهم، وكثير منهم، في أوروبا، يسلِّمون عليه: أتذكَّر، مرَّة، رجلًا من الجزائر أو من المغرب، مرَّ بنا في المقهى، ثم رجع وقال: أنا لا أصدِّق أني رأيتُ، في يوم ما، حاكمًا يجلس في مقهى بين الناس!

خصالٌ حميدة

كتب عنه عبد الله بشارة، وهو مَنْ كَتَب عن أمراء الخليج كلِّهم: "إن الشيخ حمد يمتاز بخصال حميدة جدًّا، فهو رجل يمتاز بضحكة تخرج من أعماق القلب، ثم إن هذا الرجل يرتاد أماكن يصعب أن يرتادها الملوك والأمراء"، وبالفعل، الشيخ حمد يراه الناس في أوروبا في مطعم، ويلتقطون معه صورًا، يتحدَّثون معه، وهذا، أيضًا، هو نهج سموِّ الأمير الشيخ تميم (حفظه الله): يمشي في أوروبا مع أطفاله وأمِّ عياله، بشكل عاديٍ، وهذه طبيعة الشيخ حمد وأولاده كلِّهم.

ما زلتُ أحسُّ أن الأمير الوالد يعيش معي، ويعيش مع كلِّ شعب قطر. أكاد لا أصدق كيف يغيب هذا الذي كان يملأ السمع والبصر!.

> "يمتازُ بخصالٍ حميدة وضحكةٍ تخرجُ من أعماق القلب"
>
> سعد الرميحي



سمو الأمير الوالد خلال إحدى زياراته لمعرض الدوحة الدولي للكتاب

القائد الذي ارتقى بدولته وشعبه نحو التقدُّم والرخاء

لا شكَّ في أنَّ رحيلَ صاحب السموِّ الأمير الوالد شكَّلَ صدمة كبيرة وخسارة جسيمة، فقد اهتزَّ العالم بأجمعه لوفاته، وفقدت الأمّة العربيَّة والإسلاميَّة، وقطر – خاصَّةً – رجلاً من أشجع رجالاتها، وشخصيَّة من أعظم الشخصيَّات بحقٍّ.

لقد استطاع الراحل الكبير أن يقيم نهضة شاملة في بلد صغير، وأن يجعل من هذه الدولة كيانًا يضاهي أكبر الدول تقدُّمًا ونهضة في جميع المجالات؛ وما جعله – بحقٍّ – مؤسِّس النهضة الحديثة في دولة قطر، وباني مؤسَّساتها.

لقد استطاع (رحمه الله)، خلال فترة حكمه، أن يتحدَّى الصعاب ويجابه المشاكل، خصوصًا في بلاده، في وقت كانت الأزمات فيه تطلُّ برأسها، والعالم يموج بصراعات كبيرة، أثَّرت تأثيرًا مباشرًا على التقدُّم العالميِّ، ولكن حكمة هذا القائد وحنكته جعلتا التوفيق من الله حليفَهُ، فما إن يعزم على مشروع، أو يتبنَّى اقتراحًا ويدرسه بعناية وتفكير، حتى يصبح حقيقة، بعد أن كان حلمًا.



د. يوسف العبيدان
عضو مجلس الشورى السابق

تحوُّل كبير

لقد شهد عهده الميمون تحوُّلاً كبيرًا، وطفرة عظيمة في ميادين التعليم والصحَّة والرعاية الاجتماعيَّة والتنمية الإداريَّة والأمنيَّة والعسكريَّة، جعلت قطر مضرب المثل بين دول العالم، ونموذجًا يحتذى في مثل هذه المجالات.

لقد اجتمعت في راحلنا الكبير (طيَّبَ الله ثراه)، من الصفات والسجايا ما جعلت منه القائد الذي ارتقى بدولته وشعبه نحو الرَّخاء والتقدُّم والعيش الكريم.

إن المونديال الذي أُقيم على أرض قطر عام ٢٠٢٢، وقناة الجزيرة الإعلاميَّة، التي قضت على المفهوم التقليديِ للإعلام، والعناية بالتراث القطريِ في إطار التعاليم والتقاليد العربيَّة والإسلاميَّة، واستقطاب أكبر الجامعات العلميَّة العريقة وفروعها في قطر، وإنشاء أحدث وأرقى المستشفيات، وتشييد الطرق الحديثة والأبراج والموانئ والمطار.. كلُّها بصمات واضحة تُسَجَّل للفقيد الكبير، الذي سوف يخلِّده التاريخ، وستكون آثاره في ذاكرة الأجيال.

وسوف يُسجِّلُ التاريخ لراحلنا الكبير أنَّ في عهده المبارك صدرَ أوَّل دستور قطري دائم، وجرى استفتاء دستوري عليه من قبل الشعب، في صورة رائعة جسَّدت المشاركة الشعبية في أرقى صورها، على نحوٍ أبهر العالم.

لقد عاش الشعب القطريُّ في ظلِّ حكمه، الذي امتدَّ ثمانية عشر عامًا، نهضة شاملة ارتقت به إلى مصافِّ أكثر الشعوب تقدُّمًا، بل أصبح العالم يفاخر بالشعب القطريِ، وبما خصَّه الله من فضل بوجود هذا القائد العظيم المستنير.

تأييد شعبي

لقد التفَّ الشعب حوله مؤيِّدًا له في كلِّ خطواته ومبادراته، وبدوره اتَّخذ الراحل من محبَّة الشعب له حافزًا على المضيِّ في تحقيق المزيد من الإنجازات، ولم يبخل (رحمه الله) على شعبه الذي بادله الحبَّ والتقدير، فأفاءَ عليه بكرم لا مثيل له، وأضحت الأرزاق على المواطنين دارة تحكي كرَمَ هذا الرجل، وحرصه الدؤوب على رفاهيَّة أبناء وطنه.

وإن ننسَ، فلن ننسى ما تحلَّى به فقيدنا العظيم من وتواضع جمٍّ وأخلاق عالية كريمة، يندر أن يتَّصف بها قائد مثله، وهذا ما يشهد به كلُّ مَنْ عرفه من زعماء وشعوب، وما يزال العالم يقف حائرًا



سمو الأمير الوالد يشارك في الاستفتاء العام على الدستور القطري الدائم عام 2003

مدهوشًا أمام الصفات التي تحلَّى بها (رحمه الله)، حين امتطى الطائرة، وتكبَّد المشاقَّ مع كبر حجم مشاغله ومسؤوليَّاته، ليقدِّم العزاء لأسرة مدرِّس كان يقوم بتدريسه، وهذا – لعمري – أروع صور الوفاء والإنسانيَّة، ويعجز اللسان والقلم عن تعداد مناقبه وسجاياه التي يتداولها الناس فيما بينهم. إنه – بحقٍّ – أعظم قائد ظهر في عصره، ولا نزكِّي على الله أحدًا، ولكنها الحقيقة التي ينبغي أن تسجَّل وتُذْكَر.

أثرٌ عظيم

إن الخسارة بفقده كبيرة، والحزن مؤلم ومقيم، لكنها إرادة الله (جلَّت قدرتُه ومشيئتُه) التي قرَّرت أنه لكلِّ أجل كتاب.

إن ما يخفِّف من الحزن على رحيله أن خلفه صاحب السموِّ، أميرنا المفدَّى الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، وهو الذي نهل من مدرسة والده، وتحلَّى بسماتها، يسير بالسفينة سيرًا حسنًا، مقتفيًا أثر والده العظيم، وهو ما يجعلنا مطمئنِّين إلى أنه سيكون – بإذن الله – خير خلف لخير سلف، محفوفًا برعاية الله، وحبِّ شعبه له، وولائه له، كما كان لوالده.

رحم الله فقيدنا الكبير وبوَّأه منازل الأنبياء والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.



الجزيرة
درَّة التاج في إنجازات الأمير الوالد



أصحاب السمو الأمير والأمير الوالد والشيخة موزا أثناء زيارتهم لشبكة الجزيرة في الذكرى العشرين لانطلاقتها

أحمد الشيخ

الأمير الوالد (رحمه الله تعالى)، هو صاحب فكرة إنشاء قناة الجزيرة، فقد أبلغ الشيخ حمد بن ثامر، الذي كان، في ذلك الوقت، مسؤولاً عن ملفِّ الإعلام في دولة قطر، أنه يعتزم إنشاء قناة تلفزيونيَّة إخباريَّة حرَّة، تتعاطى مع الأخبار بحرِّيَّة، وبدأ العمل عليها.

كان سموُّ الأمير الوالد يحرص على متابعة كلِّ ما يتَّصل بالجزيرة، فكان يشاهد النشرات التجريبيَّة التي نعدُّها قبل انطلاقها في الأوَّل من نوفمبر (1996)، ويتأكَّد أنَّ الأمر يسير على خير وجه.

ولماذا أراد الجزيرة؟ كلُّ التلفزيونات؛ الرسميَّة وغير الرسميَّة، كانت تقليديَّة معروفة، الخبر فيها لا يوضع بحسب أهمِّيَّته، بل كان الخبر الرسميُّ أوَّلاً، سواء في التلفزيونات أو الإذاعات، حتى في الصحف المحلِّيَّة، كان الخبر الرسميُّ هو العنوان الرئيس الذي يتَّصدر كلَّ شيء.

الأمير الوالد كان يؤمن بأنه لا بدَّ من الحرِّيَّة للشعوب العربيَّة كي تطَّلع على ما يجري في العالم، وتتابعه، وأن للفرد العربيّ الحقَّ في أن يعرف ما يحدث من حوله؛ هذا الإيمان بالحرِّيَّة، وأهمِّيَّتها، ومواكبة ما يجري في العالم من حرِّيَّة إعلاميَّة، هو الذي دفعه - في رأيي - إلى إنشاء قناة الجزيرة.

هكذا ظهرت الجزيرة

لذلك كان يحرص، حتى بعد أن انطلقت القناة على الهواء، على ألّا يغيب عنها كثيرًا، كان يأتي ويزورنا ويتحدَّث معنا، لكن علينا أن نضع تحت هذه النقطة عدَّة خطوط حمراء: لم يتدخَّل، قطُّ، فيما كنّا نعدُّه من نشرات الأخبار منذ اليوم الأوّل، ولم يأتِ إلينا أحد ليقول: ضعوا هذا الخبر أوّلًا، أو هذا الخبر ثانيًا، سواء من رئيس مجلس الإدارة آنذاك، الشيخ حمد بن ثامر، أو المدير، أو الأمير نفسه. لم يتدخَّل أحد.

كان الخبر يوضع في النشرة بحسب أهمِّيَّته وقيمته الخبريّة؛ لذلك، في النشرة الأولى لقناة الجزيرة، في الأوّل من نوفمبر (١٩٩٦)، لم يظهر فيها الشيخ حمد بن خليفة (رحمه الله)، لأنه لم يكن له خبر فيها، ولم يُذكر أنه صاحب الفكرة أو غير ذلك، بل كانت نشرة مهنيّة، كما هي النشرات في المؤسَّسات الإعلاميَّة الحرَّة في العالم الغربيّ من حولنا.

لم يكن للخبر الرسميّ أهمِّيَّة خاصَّة إلّا إذا كان خبرًا مهمًّا، فحينها نتعامل معه على هذا الأساس؛ هكذا ظهرت الجزيرة.

المهنيّة خطٌّ أحمر

كنَّا نسأله، والشيخ حمد بن ثامر: ما هي خطوطنا الحمراء؟ فكان يقول: المهنيّة. أنتم تعرفون قواعدكم المهنيّة، وهذه هي خطوطكم الحمراء. إذا كان الخطأ الذي ارتكبتموه يخالف قواعد المهنة، فهذا لا نريده. أمَّا إذا كان كلُّ ما تقومون به متَّسقًا مع القواعد المهنيّة الصحفيّة المعروفة، فافعلوا ما أردتم، هذه كانت القاعدة التي عملنا على أساسها في ذلك الوقت.

نتيجة لذلك نجحت الجزيرة، وكانت علامة فارقة في المنطقة، فهي أوّل تجربة إعلاميَّة إخباريّة حرَّة في الوطن العربيّ، ولم يسبقها أحد إلى ذلك.

أعتقد أنه، منذ الأيّام الأولى، بدأت بوادر نجاح الجزيرة تظهر، وبدأت المحطّات والناس والصحفيُّون يتحدَّثون عن أن قناة جديدة ظهرت تتعاطى مع الشأن العامّ والأخبار بأريحيَّة وحرِّيَّة تامَّة، وحتى في برامجها الحواريّة؛ لذلك نجحت القناة منذ بدايتها، وكلُّ عمل ناجح لا بدَّ من أن يسبقه قرار ناجح، والقرار الصحيح يحتاج إلى تفكير سليم، وأعتقد أن هذه الصفات الثلاث اجتمعت لدى الأمير الوالد، فاتَّخذ هذا القرار، وأنشأ الجزيرة.

فتح الإعلام على مصراعَيْه

ربَّما أكون مُتحيِّزًا إلى الجزيرة، لكنني أظنُّ أنها – كما يقولون – درَّة التاج في منجزات الشيخ حمد بن خليفة، لأن أثرها لم يقتصر على دولة قطر، بل امتدَّ إلى العالم؛ ففي العالم العربيّ، هي من فتحت الإعلام على مصراعَيْه من حيث الحرِّيَّة.

ولذلك نرى أن قنوات إخباريّة كثيرة جاءت بعدها في العالم العربيّ، في دول الخليج وغيرها، ظهرت لأنها رأت أثر الجزيرة الكبير والفاعل في المنطقة، فأرادت أن تنافسها؛ لذلك كانت في رأيي أهمَّ ما أُنجز، وأثرها ما زال موجودًا حتى اليوم.

تخيَّل لو لم تكن الجزيرة موجودة، وحدث كلُّ ما حدث في فلسطين وغزَّة، منذ الانتفاضة الثانية، ومنذ حصار عرفات حتى اليوم، ربَّما لم يكن أحد ليعرف هذه المآسي التي تحدث في فلسطين. لقد نقلت الجزيرة آمال الناس، وآلامهم، وتطلُّعاتهم، ومشاعرهم، ونقلت صوت الناس في الشارع، وهذا هو الأهمّ، كانت الجزيرة مع هؤلاء الناس البسطاء، وجعلتهم يؤمنون بالحرِّيَّة، وكانت وسيلة للتعبير عن آرائهم.

إرث إنسانيٌّ وعمرانيٌّ

ذات يوم، قلت، لسموِّه: قطر في، مجال الإعلام، أنشأت فيما مضى مجلَّة "الدوحة"، ومجلَّة "الأمة"، ومجلَّة "الصقر"، وإذاعة قطر، ووكالة الأنباء القطريَّة؛ يعني أن لقطر في المجال الإعلاميّ، حتى قبل الجزيرة، باعًا طويلًا. وأضفت: إن شاء الله، فلن يقلّ الاهتمام بالجزيرة، فقال سموُّه: "شوف، وأنا على قيد الحياة لن أسمح أن يمسَّها سوء". وفي الجلسة نفسها، سألته، أيضًا: طبعًا، سموُّك اهتممت بالجزيرة وبالإعلام، مع أن البنية التحتيَّة في قطر، في تلك

> "إرثُه الثقافيُّ انعكس على ما قدَّمته قطر من أعمال ومطبوعات"
>
> أحمد الشيخ



سمو الأمير وسمو الأمير الوالد وسمو الشيخة موزا خلال حضورهم احتفالية الذكرى العشرين لانطلاق شبكة الجزيرة 2015

الأيّام، عندما أنشأت الجزيرة، لم تكن متطوِّرة كما هي اليوم، ولا كما هو حال قطر الآن. فقال: "شوف، والله إن الله كتب لي الحياة، لخلّيها تصير مثل الوردة". وهي، الآن، بعد التطوُّر الذي حدث في بنيتها العمرانيَّة، والإنشائيَّة، والخدماتيَّة، أصبحت - والله - كالوردة. نعم، هذا إرثه العمرانيُّ والإنسانيُّ.

أتذكَّر إنسانيَّته أوَّلاً

الإمارةُ لم تُنسِ الأمير الوالد البُعد الإنسانيَّ في التصرُّفات، بل كان يتصرَّف مع الناس بأريحيَّة عظيمة؛ وأذكر قصَّة مُستغربة ربَّما: ذات يوم، قبل نحو خمس سنوات، دعانا سموُّه إلى مراكش في المغرب. ذهبت إلى هناك، وفي أحد الأيّام قال لي: "نذهب نشرب شايًا مغربيًّا في مقهى"، وكان سموُّه يقود السيَّارة بنفسه، وكنّا أنا وهو، فقط، فجلسنا أمام المقهى نشرب الشاي المغربيّ.

وأذكر أنَّه قال لي مرَّةً: عندما كنت صبيًّا، قبل أن تصبح لديّ مسؤوليَّات، مررت على البحر، وكان هناك نساء يغسلن الملابس بماء البحر، فقلت في نفسي: أسأل الله (عزَّ وجَلَّ) أن يعطيني العمر والمال والقوَّة، لأجد في كلّ بيت قطريٍ غسَّالة.. هذا وهو صبيٌّ، وهذا هو الحبُّ للوطن.

قطر دولة صغيرة، ومع ذلك، تقوم بدور، سواء في الساحة العربيَّة أو الساحة العالميَّة، يفوق مساحتها بكثير، وقوَّتها الناعمة ليست، فقط، الجزيرة؛ فالجزيرة أحد أسباب قوَّتها الناعمة، لكن هناك -أيضًا- سياستها في التقريب بين المتخاصمين، وسياسة المصالحة التي اتَّبعتها، وهذا ينطلق -أيضًا- من إيمانه القوميّ.

لقد نجحت قطر في مصالحة الفرقاء اللبنانيّين المختلفين، وعقدت بينهم الاتِّفاق العظيم الذي حدث هنا في الدوحة، وأسهمت، في فترة من الفترات، في تسوية أزمة دارفور في السودان، وخصَّصت الأموال اللازمة لإعادة الإعمار، وكذلك قامت، في العراق، بجهود للتسوية، وفي أماكن أخرى من العالم.

فلسطين في قلبه

في الحقيقة، عندما بدأت الجزيرة عملها، كانت القضيَّة الفلسطينيَّة هي الخبر الأوَّل في كلّ نشراتنا، لأن الأحداث كانت كثيرة: كانت هناك الانتفاضة الثانية، وما حدث خلالها من مآسٍ كثيرة، ثم حوصر ياسر عرفات في مقرّه برام الله، مع بعض مساعديه، ثم قُصِف المكان.

قال لي مدير مكتب الجزيرة في رام الله: إن ياسر عرفات، وهو محاصر، لم يتَّصل به أحد من الزعماء والرؤساء والملوك العرب والأمراء، ولم يرفع أحد منهم الهاتف ليطمئنَّ عليه، إلَّا الشيخ حمد بن خليفة، وهذا دليل على شخصيَّة الرجل، وبعد ذلك دعا إلى قمَّة عربيَّة تُعقد هنا في الدوحة، للنظر فيما يحدث في فلسطين.

كان لفلسطين في قلب هذا الرجل وفكره موقعٌ خاصٌّ؛ لذلك، عندما أصبح في غزَّة مجال للعرب، بعد انسحاب الإسرائيليّين في مرحلة ما، مَن زارها من العرب؟ إنَّه الشيخ حمد بن خليفة، هو الوحيد الذي زار غزَّة في ذلك الوقت، وألقى فيها خطابًا معروفًا.

الآن، مع مأساة غزَّة وحصارها لسنوات، مَنْ كان يقدِّم لها يد العون سوى قطر؟ حتى في زمن الأمير الوالد، وفي زمن الشيخ تميم بن حمد (حفظه الله)، الأمير الذي خلف والده، كانت قطر تقدِّم كلَّ سنة مئات الملايين من الدولارات لأهل غزَّة لكي

تعينهم، وأقام الشيخ حمد بن خليفة فيها أبراجًا عديدة لإسكان الناس.. هذه سوابق، هل فعلها أحد من الزعماء العرب قبله؟ لا، والله، لم يفعلوها.

همّة كبيرة جدًّا

بلده صغير، لكن الهمَّة كانت كبيرة جدًّا، وكذلك الطموحات والغايات، والإيمان كان قويًّا وراسخًا بهذه العروبة التي كانت تنبع منها كلُّ خطواته (رحمه الله). كانت مواقفه العروبيَّة نابعة من إنسانيَّته، ومن إيمان لا يتزعزع بعروبته، وبإسلامه، وبهويَّته، وبضرورة أن نجمع بين هذه الأمور كلِّها.

أتذكَّر لمَّا كتبنا خطاب تنازُله عن الحكم لسموِّ الأمير الشيخ تميم بن حمد، كان معي أحد المسؤولين، فأردنا أن نضع فيه الإنجازات التي قام بها سموُّ الأمير (رحمه الله)، في المسَوَّدة الأولى للخطاب. ذهبت إليه، فقال: "ما هذا يا أحمد؟". قلت: يا سموَّ الأمير، نريد أن نذكر الإنجازات التي تحقَّقت، فقال: "تريدني أن أُعدِّد لشعبي ما قمتُ به؟ هذا كان واجبي يا رجل، أنا أريد أن أوصيهم، أريد أن أتحدَّث إليهم، أريد أن أبرِّر لهم هذه الأشياء، وأن أقول لهم إن زمانهم يختلف عن زماننا في الأجيال القادمة، هذا هو الذي أريد أن أتحدَّث عنه". وقال لهم، ناقلاً عن عليّ بن أبي طالب، قوله: "علِّموا أولادكم ما لم تُعَلَّموا أنتم، فإنهم خُلقوا لزمان غير زمانكم". فهذا نابع من إيمانه بأن القرار السليم لا بدَّ أن يُتخذ، وأنه لا بدَّ من أن تتجدَّد السلطة، وأن يكون هناك عقل جديد، وهمَّة جديدة في البلد، لكي تستمرَّ في التطوُّر والتواصل، وهذا ما حدث، في الحقيقة، وكان اختياره سليمًا، وواصل سموُّ الأمير الشيخ تميم بن حمد السيرَ على دربه، وجدَّد عليه.

إرث ثقافيٌّ كبير

أمَّا في مجال الثقافة، فإرث الشيخ حمد بن خليفة انعكس، في كثير من الحالات، على ما كانت تُقدِّمه الدولة من مناسبات ثقافيَّة، وما أنجزته من أعمال ومطبوعات، من بينها (أعتقد أنه كان في هذا المشروع الذي شاركت فيه أيضًا) "معجم الفلكيّين العرب"، وأظنّ أنه في مراحل الطباعة النهائيَّة.

وهنا، لا بدَّ من أن نشير إلى جهود سعادة الشيخ عبد الرحمن بن حمد آل ثاني، وزير الثقافة، وهو - في الحقيقة - أخ مثقَّف، يحبُّ الثقافة والمثقَّفين، ويحبُّ التراث العربيَّ والشعر العربيَّ وكلَّ ما يمتُّ هذه القضايا. حين تكون البيئة مفتوحة، ويكون الأمير مؤمنًا بأهمِّيَّة الثقافة، تحدث أشياء عظيمة وجميلة، تنعكس على الفرد، وعلى الصحفيِّ، وعلى المفكِّر، وعلى المسؤول، شرط أن يكون صاحب القرار مؤمنًا بها وبأهمِّيَّتها؛ وهذا ما كان عليه الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله).



كبرنا معه



محمَّد علي المرزوقي
الأمين العام المساعد للجنة
العليا للمشاريع والإرث

كبرت أعمارنا، وكبرت معها أحلام وطنٍ كان يتعلَّم كيف يرى نفسه في المستقبل، لا في المرآة.

وحين كبر الحلم، كبرت قطر.

ومن حسن حظِّي أنني أنتمي إلى الجيل الذي عاصر فجر ذلك التحوُّل؛ الجيل الذي رأى الأمير الوالد، وهو يتسلَّم مسؤوليَّة الحكم في صيف عام (1995)؛ لا بوصفه حاكمًا جديدًا فحسب، بل بوصفه بداية زمن جديد، أيضًا.

لم يكن رجلاً ورث السلطة ثم اكتفى بإدارتها، بل كان رجلاً أعاد تعريف معنى الحكم.

كسر المسافة بين الحاكم والمحكوم، قبل أن يكسر الصور التقليديَّة للإمارة. لم يسكن برجًا عاجيًّا، ولم تغرِه مظاهر الملك، بل اختار أن يكون قريبًا من الناس، يعرفهم ويعرفونه، يبتسم لهم كما يبتسم الأب لأبنائه، ويغرس فيهم يقينًا بأن المستقبل مشروع يمكن صناعته، لا أمنية تُنتظَر.

كنت، آنذاك، طالبًا في كليَّة القانون، ثم شاء الله أن أتخرَّج، وأن أتشرَّف بخدمة بلدي، وأن يكون لي نصيب من العمل تحت قيادة الأمير الوالد، فأصبحتُ شاهدًا، لا على التاريخ فحسب، بل على ولادته، أيضًا.

ومن أعظم نعم الله عليَّ أنني لم أكتفِ بمشاهدة الأحلام وهي تُعلن، بل شاركت - مع رجال ونساء مخلصين - في تحويل بعضها إلى واقع.

كان الحلم الأوَّل هو بناء رؤيةٍ للدولة، لا لحكومةٍ عابرة.

وفي عام (2001) بدأ العمل على أوَّل رؤية وطنيَّة لدولة قطر، تلك التي أصبحت - لاحقًا - رؤية قطر الوطنيَّة (2030)، قبل أن تُدشَّن رسميًّا، عام (2008)، تحت توجيهات الأمير الوالد، وبالإشراف المباشر لسموِّ الأمير الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، حين كان وليًّا للعهد.

لم تكن وثيقةً إداريَّة، بل كانت فلسفة دولة؛ المظلَّة التي ستنتظم تحتها الخطط والإستراتيجيات لعقود قادمة، وغرسًا مؤسَّسيًّا لفكرة أن التنمية ليست مشروع سنوات، بل مشروع أجيال.

وكان الحلم الثاني أن تمتلك الدولة عقلاً معلوماتيًّا يثق به صانع القرار.

ومن هنا، جاء إنشاء جهاز قطر للإحصاء، ووضع أوَّل إستراتيجية وطنيَّة للمعلومات، وإطلاق أوَّل بنك رقمي شامل للبيانات في الدولة، عام (2010)، تحت اسم "قلم"، ليكون الذاكرة الرقميَّة لقطر منذ عام (1963)، والمرجع الذي تستند إليه المعرفة، لأن التخطيط بلا معلومات ليس إلَّا اجتهادًا أعمى.



أمَّا الحلم الثالث، فكان الحلم الذي تابع العالم بأسره ولادته: كأس العالم ٢٠٢٢.

لم يكن الفوز بحق الاستضافة سوى بداية الطريق. أمَّا التحدِّي الحقيقيُّ فكان الوفاء بالوعد.

ومن حسن حظِّي أن أكون أحد المُسهمين في هذه الرحلة، ضمن اللجنة العليا للمشاريع والإرث، حيث تحوَّلت سنوات العمل الشاقّ، والتحدّيات اليوميَّة، إلى تجربة صنعت جيلاً كاملاً من الكفاءات.

ثم جاء اليوم الذي رأينا فيه العالم يشهد بأن قطر لم تنظِّم بطولة ناجحة، فحسب، بل قدَّمت واحدة من أعظم نسخ كأس العالم في التاريخ.

حينها، أدركنا أن الأحلام، حين تجد قائدًا يؤمن بها، تصبح حقائق.

كان الأمير الوالد صاحب رؤية، وصاحب رسالة، وصاحب إرث.

ولم يكن يؤمن ببناء الحجر قبل الإنسان.

ولهذا، كان مشروعه التعليميُّ أحد أعظم مشاريعه؛ فكانت مؤسَّسة قطر، والمدينة التعليميَّة، وجامعات العالم التي اجتمعت على أرض قطر، إعلانًا بأن الثروة الحقيقيَّة ليست ما يخرج من باطن الأرض، بل ما يُبنى في عقول البشر.

واليوم، ونحن نجني ثمار تلك الرؤية، ندركُ أن الاستثمار في الإنسان كان أعظم استثمار.

لكلِّ مواطن في قطر قصَّة مع الأمير الوالد، ولكلِّ بيتٍ ذكرى، ولكلِّ إنجاز بصمة.

كان قريبًا من الناس لأنه خرج من بينهم، وعرف تفاصيل حياتهم قبل أن يعرف تفاصيل الحكم.

أمَّا وفاؤه للرجال، ودعمه للمخلصين، ومواقفه مع الآخرين، فهي من الكثرة بحيث يعجز عنها الحصر، وتبقى محفوظة في ذاكرة مَنْ عرفوه، قبل أن تحفظها الكتب.

لقد أسَّس دولةً حديثة، لكنه، قبل ذلك، أسَّس طريقةً جديدة في التفكير.

ولهذا، إن قطر قبله ليست كما أصبحت بعده، وهذه هي علامة القادة الكبار: إنهم لا يُغيّرون حاضر أوطانهم فحسب، بل يُغيّرون مستقبلها، أيضًا.

لا يرحل العظماء حين تغيب أجسادهم؛ بل يرحلون حين يغيب أثرهم.

وأثر الأمير الوالد باقٍ في كلِّ مدرسة، وكلِّ جامعة، وكلِّ مؤسَّسة، وكلِّ طريق، وكلِّ حلم تحقَّق على هذه الأرض.

سيبقى اسمه حاضرًا لأنَّ أثره حاضر.

وسيظلُّ تاريخه نجمًا يهتدي به القادمون.

لقد بنى الإنسان، قبل أن يبني العمران، وصنع الرؤية، قبل أن يصنع الإنجاز، وحوَّل الطموح إلى مؤسَّسات، والحلم إلى وطنٍ يُضرَب به المثل.

واليوم، إذ نتقدَّمُ بأصدق التعازي إلى مقام حضرة صاحب السموِّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، وإلى الأسرة الكريمة، وإلى شعب قطر الوفيّ، فإننا نستشعر أن عزاءنا - على عظَمِ الفقد - تخفِّفه نعمةٌ عظيمة؛ هي أن مسيرة الدولة التي أرسى الأمير الوالد قواعدها تمضي اليوم بقيادة سموِّ الأمير الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، الذي ورث عن والده صفاء الرؤية، ورباطة الجأش، والإيمان بالإنسان قبل البنيان، ثم أضاف إلى ذلك بصمته القياديَّة الخاصَّة، بروحٍ عصريَّة تستجيب لتحوُّلات العالم، وتواكب تحدّياته، وتفتح لقطر آفاقًا جديدة من الحضور والتأثير. وهكذا، تستمرُّ المسيرة؛ لا بتكرار الماضي بل بالبناء عليه، لتبقى النهضة مشروعًا متَّصلاً، تتعاقب عليه القيادات، كما تتعاقب الأجيال، وتظلُّ فيه مصلحة الوطن هي البوصلة التي لا تحيد.

رحم الله الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

لقد غاب جَسَدًا

وبقيَ روحًا وأثرًا.

وقطر، التي صنع ملامح نهضتها، ستظلُّ تروي للأجيال أن الأوطان العظيمة تبدأ، دائمًا، بفكرة، ويقودها رجل يؤمن بأن المستحيل ليس إلَّا موعدًا مؤجَّلاً للنجاح.

الفنون ازدهرت في عصره

رحم الله باني نهضة وطننا الغالي؛ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني. لقد خيَّم الحزن على رحيله في كلّ مكان بدولتنا الحبيبة، فهو مَن أرسى دعائم نهضة قطر الحديثة، وكانت أقواله تغدو أفعالًا، والأفكارُ تصبحُ منجزات، حتَّى وجدنا قطر في مقدِّمة البلدان المتطوِّرة.

في قلب كلّ قطريٍّ، ووجدانه، وذاكرته، تلك الصورة التي لا تُمحى لسموِّ الأمير الوالد، وهو ينقل البلاد من حال إلى حال، فقد ارتبط اسم الشيخ حمد (رحمه الله) بالنقلة النوعيَّة التي شهدتها البلاد على كلّ الأصعدة، منذ تولِّي سموِّه مقاليد الحكم في البلاد، مرورًا بالنهضة الهائلة في عهده الميمون، خلال الأعوام: من (1995) إلى (2013)، حتَّى سلَّم دفَّة القيادة لابنه حضرة صاحب السموِّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدَّى، والذي أكمل ما بدأه الأمير الوالد، لتتوالى الإنجازات.

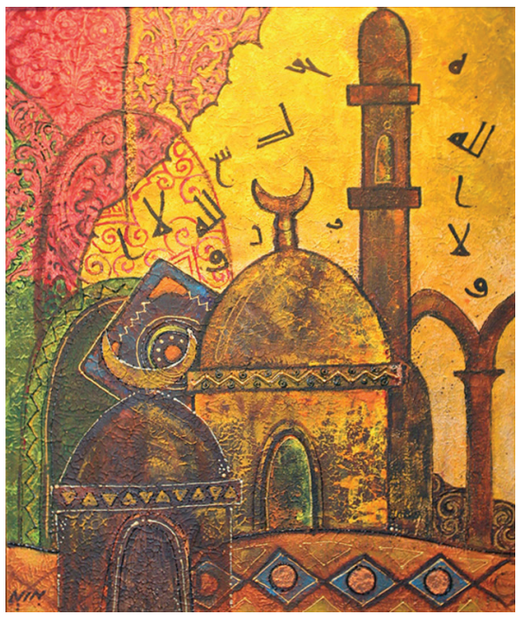


بدرية الكبيسي

لقد رأينا نحن - جيل الفنَّانات التشكيليَّات اللواتي بدأن الرسم بعد جيل الرُّواد - كيفَ تحوَّلتْ قطر إلى واحةٍ للفنون البصريَّة، بشتَّى أنواعها ومدارسها واتِّجاهاتها؛ التراثيِّ منها والحداثيِّ، بل وجدنا كلَّ الأبواب تُشَرَّع أمامنا للإبداع والعطاء، محليًّا ودوليًّا، وهو ما لمسته شخصيًّا، بصفتي فنَّانة تشكيليَّة، في هذا المجال الذي أولاهُ سموُّ الأمير الوالد اهتمامًا كبيرًا، انعكس على تطوُّر الحركة التشكيليَّة في عصره بصورة واضحة وملحوظة.

معارض في الداخل، ومشاركات في الخارج، مراكز إبداعيَّة ومتاحف فنِّيَّة، وفق أعلى المستويات والمعايير العالميَّة، ودعمٌ غير محدود كنَّا نتلقَّاه، حتَّى أنَّ كثيرًا من الفنَّانات المبتعدات عن الساحة الفنِّيَّة، لأسباب مختلفة، عُدْنَ إلى العمل والنشاط تحت مظلَّة وزارة الثقافة، ومن قَبْلها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والتراث، فأثمر كلُّ ذلك عن إنتاج فنِّيٍّ غزير، وحَصْد جوائز دوليَّة مهمَّة، وتحقيق حضور إبداعيٍّ لافت لأسماء كثيرة.

لقد سعى سموُّ الأمير الوالد جاهدًا إلى إطلاق أقصى طاقات الفنَّان القطري، والفنَّانة القطريَّة، من خلال العمل على بناء الإنسان، وتحفيز ما لديه من قدرات، وتقديم الدعم والتشجيع؛ ماديًّا ومعنويًّا.



لوحة تستلهم الأهلة والقباب والحروف العربية للفنانة بدرية الكبيسي



سمو الأمير الوالد وسمو الشيخة موزا بنت ناصر

> ارتبط اسم الشيخ حمد بالنقلة النوعيَّة التي شهدتها البلاد
>
> بدرية الكبيسي

كانت الفعّاليات والمهرجانات، والندوات المحلّيَّة والعربيَّة والعالميَّة متواصلة، واكبتها طفرة في الإصدارات النقديَّة المتخصِّصة، واستضافة لكبار الفنَّانين في الدوحة؛ الأمر الذي انعكس، بشكل واضح، على التطوُّر الذي نراه اليوم في صالاتنا ومؤسَّساتنا الفنِّيَّة الثريَّة بالعطاء.

لقد عمل سموُّ الأمير الوالد على تطوير دولة قطر في كافَّة النواحي، بخطوات متسارعة؛ ما وضع الجميع أمام تحدّيات كبيرة، وفرص هائلة، وسوف تظلُّ مآثرُه (رحمه الله) محفورةً في أذهان شعبه الوفيّ، تتناقلها الأجيال القادمة بفخر واعتزاز.

وفي الختام، لا نملك إلَّا أن نعزِّي أنفسنا، ونعزِّي قطر، قيادةً وحكومةً وشعبًا، ونعزِّي - بشكل خاصٍّ - سموَّ الأمير المفدَّى الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، وسموَّ الشيخة موزا بنت ناصر، وجميع أفراد الأسرة الحاكمة.

لقد ترك رحيل سموِّ الأمير الوالد حزنًا عميقًا وأثرًا بالغًا في النفوس، لكنَّ عزاءنا يبقى في تميم المجد، الذي سيكمل مسيرة الوطن نحو التقدُّم والازدهار والتميُّز دائمًا، إن شاء الله.

الإرث الثقافيُّ للأمير الوالد بعيون الأدباء والفنَّانين


في إطار دعم سموه للحركة الفنية والشبابية

الأمير يشهد مسرحية «غناوي الشمالي»

محمد دحو

الإرث الثقافيُّ لسموِّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله) ليس سجلاً من الماضي فحسب، بل هو -أيضًا- ذاكرة وطن تعيش في قلوب المبدعين والمثقَّفين القطريّين والعرب؛ فقد كانت لسموِّه رؤية إستراتيجيَّة، آمنت بالثقافة شرطًا أساسيًّا لبناء نهضة شاملة، وابتغت العِلم جسرًا لصناعة الإنسان، عبر استثمار معرفيٍّ متكامل في العلوم والآداب والفنون والمعرفة.

مجلَّة "الدوحة" تستذكر، في هذا الملفِّ الخاصِّ، الإرث الثقافيَّ لسموِّ الأمير الوالد، مع ثلَّة من الأدباء والكُتَّاب والفنَّانين من رموز الثقافة القطريَّة، ممَّن عايشوا تجربة العطاء الحافل بالمنجزات الرائدة، استلهموها في إبداعاتهم وأعمالهم الثقافيَّة، والفنِّيَّة، يستذكرون رؤية باني قطر الحديثة، بشهادات إنسانيَّة وفكريَّة، ويستشرفون، بفخر واعتزاز، عظمة ذلك الإرث القطريِّ بمشروعه النهضويِّ المتجدِّد، واستمراره، حاضرًا ومستقبلاً، في تشكيل الوعي الثقافيِّ للأجيال المعاصرة، والأجيال اللاحقة.

العظماء لا يرحلون

الكلمات لا تسعف لسانه، يعتصرُ قلبه حزنٌ وأسًى، وهو يقول: فقدنا رجلاً عظيمًا وقائدًا شهمًا، لكن العظماء لا يرحلون.. يستدرك الناقد المسرحيُّ الدكتور حسن رشيد بمقولة خالدة، مفادها أنَّ التاريخ علَّمنا أنَّ العظماء من أمثال سموِّ الأمير الوالد، باني قطر الحديثة، سيبقون في ذاكرة شعوبهم، ثم يروي تفاصيل بداية القصَّة والمدرسة، قائلاً: بدأت علاقتي بالأمير الوالد (رحمه الله)، منذ أن تفتَّحت مداركي، والتحقنا بالمدرسة.

زمالة قائد عظيم

عرفته منذ الصفِّ الأوَّل الابتدائيِّ، كنَّا تحت رعاية أستاذنا أحمد علي منصور (رحمه الله)، وأتذكَّر زملاء الصفِّ فردًا فردًا، منهم الشيخ عبد العزيز بن خليفة (حفظه الله)، وحسين جعفر، وحاجي باقر، وغيرهم. كان عددنا يتجاوز الخمسين أو أكثر في القسم، أتذكَّر أن أستاذنا أحمد علي منصور أصدر عام (1959) مجلَّة خاصَّة بنا، في المدرسة، أسهمنا فيها جميعًا بالكتابة.. ويضيف د. رشيد: كان المقال الذي كتبه الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، عن

البطل صلاح الدين الأيُّوبيِ؛ ما يدلُّ على أن هذا القائد العظيم، كان ذا شعور عروبيٍ وإسلاميٍ منذ طفولته المبكِّرة.

يتابع د. حسن رشيد معتزًّا بتلك الذكرى العظيمة: هي ذكرى عابرة للأزمنة والتاريخ، زمالة قائد عظيم من طينة الشيخ حمد بن خليفة في المدرسة والقسم، ستظلُّ محفورة في القلب، ما أزال أحتفظ، في ذاكرتي، بجزءٍ كبير من أيّام الطفولة والمدرسة، ولن أنسى ذلك المقال الذي صدر لسموّه في مجلّة المدرسة، مضيفًا: منذ طفولته، كان الأمير الوالد مسكونًا بقضايا وطنه قطر، وقضايا الأمّة العربيّة، والإسلاميّة. الشيخ حمد كان عروبيًّا شهمًا، ومثالاً للتواضع والبساطة، كان يعيش الهمَّ العروبيّ منذ طفولته، كم أنا فخور بأني كنت زميله في الدراسة! لم نكن - ونحن صغار - نشعر بأنّه مختلف عنّا، ولم يُشعِرنا، أبدًا، بأنّه شيخ أو أنّه ابن قائد الوطن، آنذاك، الشيخ خليفة (عليه رحمة الله). كنّا نلعب الكرة معًا، نتحدّث ونجلس طوال تلك السنوات معًا، وكنّا نشعر بأنّه جزءٌ منّا، ونحن جزءٌ منه، وهذا هو الشعور الموجود بين قائد هذا الوطن وشعبه؛ لا فرق بين الأسرة الحاكمة والشعب القطريِ، هذا ما نعيشه ونلمسه في حياتنا.

دعم التعليم والرياضة

ومن ذاكرة المدرسة، وذكريات الصفِّ الخامس الابتدائيِ، يأخذك الدكتور حسن رشيد إلى الحديث عن عشق الأمير الوالد لوطنه قطر، وحبّه الكبير لأبنائه القطريّين، وللمقيمين على أرضها: لقد أحبَّ سموُّ الأمير الوالد هذا الوطن، وأحبَّه المقيمون على ثرى بلادي، لم يكن يفرّق بين مقيم عزيز بيننا، وبين مَنْ ينتمي إلى ثرى هذا الوطن الغالي، هذا الإطار هو الذي شكّل عشّاق هذا الإنسان الذي عاش عاشقًا لهذا الوطن، مضيفًا: لعلَّ من أكثر مآثر الأمير الوالد، أنه كان الداعم الأساسيَّ للتعليم في هذا الوطن، وأعتقد أن هذا هو الإرث الأكبر الذي تركه لنا سموُّ الأمير الوالد (عليه رحمة الله)، إلى جانب الدعم الكبير للرياضة. ويكفي سموُّه فخرًا أن دولة صغيرة بحجم قطر، نالت شرف تنظيم كأس العالم، فقطر دولة صغيرة لكنها عظيمة بعطائها، وبإرث سموِّ الأمير الوالد.

سخاء لا حدود له

يؤكِّد الدكتور حسن رشيد ما عُرِف به الأمير الوالد من دعم كبير لأهل الفكر والعلم، من خلال المؤسّسات التعليمية الكبرى، ورعاية المبدعين والباحثين، وتكريم روّاد الفكر والمعرفة، ومن ذلك اهتمامه بيوم العلم، ودعم العلماء وتكريمه لهم، فالشيخ حمد كان صاحب رؤية علميّة وثقافيّة ثاقبة، يشجّع أهل العلم والمعرفة، وكلُّ العالم يشهد له بهذا، فدعمه لليونسكو معروف، وكذلك دعم قطاع النشر، والكتّاب والشعراء والمبدعين بسخاء لا حدود له، وعطاء مستمرٍ، فقد اهتمَّ ببناء الإنسان فكريًا؛ من خلال القطاع التعليميِ، والقطاع الثقافيِ، ومن خلال القطاع الرياضيِ، جسديًّا.

ويصف د. رشيد مكانة قطر في عهد سموِّ الأمير الوالد الذي أنجز لدولة قطر نهضة حقيقيّة، فقد كان قارئًا لكلِّ الأزمنة، مستشرفًا للمستقبل، ومَنْ يستشرف المستقبل يحاول - قدر المستطاع - أن يجد طريقًا إليه. لقد صنع الشيخ حمد لدولة قطر مكانة في المنطقة، منها تشرق شمس المعرفة، بكلِّ ما تحمل هذه العبارة من دلالات؛ فهو الذي ذهب بوطنه إلى أقصى حدود المعرفة الإنسانيّة، وأسّس قاعدة علميّة وجامعيّة وبحثيّة راقيّة، وأرسل البعثات العلميّة إلى الخارج، وكان سموُّه يقول دائمًا: "الإنسان هو الثروة الحقيقيّة لقطر"، وكان يعمل على هذا المبدأ، ولم يكن الأمر شعارًا فحسب، فهناك من القادة من يطلق الشعارات، وهناك من يعمل. حمد بن خليفة كان ممّن يعملون وينجزون، رسّخ هذا المفهوم بالنسبة إلى الإنسان القطريِ، وهذا الوطن الغالي عليه.



د. حسن رشيد: كان سموُّه ذا شعور عروبيٍ وإسلاميٍ منذ طفولته المبكِّرة



وفيقة سلطان: أعاد اكتشاف الذات القطريّة ووضعها في قلب العالم

عبقريّة التواضع

ويذكر د. رشيد كيف كان سموّ الأمير الوالد حريصًا على متابعة العروض المسرحيَّة، وعندما قدَّم غانم السليطي أوَّل عمل مسرحيّ حضر سموُّه العرض، وبارك له، فكانت خطوة كبيرة في دعم المسرح والمسرحيّين، ويقول: كان سموُّه يتابع العروض المسرحيَّة في قطر، ويزور عبد العزيز جاسم، أو إحدى الفرق الزائرة، وهذا الدعم من أمير البلاد هو دعم كبير لتطوير الحراك المسرحيّ. كما كان الأمير الوالد يهتمّ بأي (أوبريت)، فيحضر العرض ويبارك للقائمين عليه، ويهنّئ ويشجّع كلَّ مَنْ شارك في هذه الفعاليَّة أو تلك، مضيفًا: أنا - بصفتي مبدعًا - في حاجة إلى الدعم المادّيّ والدعم المعنويّ، وحين أجدهما من قائد البلد ورمزه الكبير، فهذا وسام شرف وفخر على صدري، وحافز يدفعني إلى بذل الجهد والعطاء لتحقيق المجد لوطني.

وعن ميزات الأمير الوالد وخصاله العظيمة، يقول الدكتور حسن رشيد: كان جزءًا من نسيج المجتمع القطريّ، إنسانٌ بسيط، عظيمٌ في تركيبته الإنسانيَّة، يجلس في سوق واقف، والكلُّ يمرُّ أمام هذا الإنسان. كان يتعامل مع الطفل الصغير بأبوَّة وحِلم، ويتعامل مع الكبير في السنّ كابنٍ بارٍّ له، وكان يجلس ويتحدَّث مع الناس ببساطة وتواضع، الشيخ حمد كان إنسانًا بسيطًا إلى درجة عالية؛ أوَ ليس التواضع عبقريَّة؟ رحم الله الفقيد الأمير الوالد.

دعم المبدعة القطريّة

ولأنَّ المرأة القطريَّة حاضرة، بقوَّة، في الإرث الثقافيّ للأمير الوالد؛ قائدةً للمؤسَّسات الثقافيَّة، وصانعة للسياسات الإبداعيَّة، وحامية للهُوِيَّة الوطنيَّة، تذكر الفنَّانة التشكيليَّة القطريَّة الرائدة وفيقة سلطان، بفخر، تجربة صاحبة السموّ الشيخة موزا بنت ناصر، بوصفها نموذجًا ملهمًا في الريادة الثقافيَّة، مستشرفة إرث الأمير الوالد بمحبَّة كبيرة، وممزوجة بمرارة الفقد، مؤمنة بأنَّ رسالة الأمير الوالد، في مشروعه الثقافيّ الكبير للمرأة، كانت دعمًا وتشريفًا للمرأة القطريَّة المبدعة، وستظلُّ كذلك، فتقول: فقدان الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (طيَّب الله ثراه) هو فقدانٌ لملهمِ الحركة الفنّيَّة القطريَّة، وراعي إبداعها الأوَّل. لقد كان حضوره الدائم في معارضنا الفنيَّة ليس تشريفًا فحسب، بل كان -أيضًا- رسالةً واعيةً تُعلي من شأن الفنّ التشكيليّ، وتؤكّد إيمانه العميق بأن الفنَّ هو مرآة حضارتنا، ولسانُ هويّتنا الذي نُخاطب به العالم.

رسم ملامح الدولة الحديثة

وتؤكّد التشكيليَّة وفيقة سلطان أنَّه بفضل سياسته المستنيرة، تجاوز الفنُّ التشكيليُّ القطريُّ الحدودَ المحليَّة، ليصل إلى منصَّات العالم، فكان (رحمه الله) الداعم الأوَّل للفنَّان القطريّ، يدفعه إلى التميُّز، ويمنحه الثقة ليكون سفيرًا لإرثنا وجماليَّاتنا، مضيفةً: إنَّ حزني اليوم هو حزنٌ على القائد الذي لم يكتفِ برسم ملامح الدولة الحديثة، بل رعى ريشتنا، وحمى ألواننا، وأدرك مبكِّرًا أن نهضةَ الأممِ لا تكتمل إلَّا بجمالِ فنونها، وتتابع: إنَّ إرثه العظيم سيبقى محفورًا في ذاكرتنا الفنّيَّة، وسنظلُّ أوفياء لهذه الرؤية العظيمة التي جعلت من الفنِّ القطريّ جزءًا من الحوار الإنسانيّ العالميّ. رَحِم الله القائد الذي منحنا صوتًا فنّيًّا مسموعًا، وألهمنا لنواصل المسيرة التي يرعاها، اليوم، بكلّ ثقة واقتدار، صاحب السموّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني.

منارة عالميَّة بدفء القيم العربيَّة

العِلم ضوء العالم في دولة قطر.. هكذا عبَّرت الفنَّانة وفيقة سلطان، بجملة تشكيليَّة بديعة، عن منجز المدينة التعليميَّة، المنارة التي يتقاطع عندها ضوء العلم العالميّ مع دفء القيم العربيَّة، تقول: لم تكن جامعات وبنايات فارهة فحسب، بل كانت -أيضًا- "مختبرًا للهويَّة"، حيث يتعلَّم الشابُّ القطريُّ كيف يرتدي ثوب العصر دون أن يخلع عباءة أجداده. لقد استقطب سموُّه أعرق الجامعات ليقول للعالم: "نحن هنا، نأخذ من العلم

أقصاه، ونحمي من التراث أعمقه"، مضيفة: إن ما تركه سموُّ الأمير الوالد هو إرث أبديٌّ للأجيال القادمة، و"وصيةُ ثقافيَّة"؛ فهو الذي علَّمنا أن التطوُّر لا يعني التخلِّي، وأن الانفتاح لا يعني الذوبان، لقد نجح في صياغة المعادلة الصعبة: دولةٌ تسبق العصر بآفاقها، وتتشبَّث بالجذور بأعماقها.

نهضة ثقافيَّة وإعلاميَّة

وتابعت الفنَّانة وفيقة سلطان: لم يكن مشروع النهضة الثقافيَّة، والإعلاميَّة الذي قاده سموُّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني خططًا إستراتيجيَّة أو مؤسَّساتٍ تُبنى من صمت الإسمنت والفولاذ فحسب، بل كان -أيضًا- "إعادة اكتشاف للذات القطريَّة"، ووضعها في قلب العالم. وحين ننظر اليوم إلى متاحفنا التي تحتضن كنوز الفنِّ العالميِّ، وإلى مراكزنا الثقافيَّة التي تعجُّ بالحوار، وإلى إعلامنا الذي لا يخشى قول الحقيقة، ندرك أننا نعيش في ظلِّ "رؤية"، لم تكن يومًا للماضي بل كانت، دائمًا وأبدًا، للمستقبل، محمولة على إعلام قويٍّ، حيث كانت شبكة الجزيرة لحظة فارقة في تاريخ المنطقة، فلم يؤسِّسها سموُّه لتكون قناة خبريَّة فقط، بل أرادها -أيضًا- "منصَّة للحرِّيَّة"، وساحةً يتنفَّس فيها الحوار. لقد استطاع سموُّ الأمير الوالد أن يكسر حواجز الجغرافيا، ليجعل من قطر صوتًا يتردَّد صداه من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فكان الإعلام "قوَّة ناعمة"؛ لا لتزييف الحقائق بل لفرض حضور قطر بوصفها لاعبًا أساسيًّا لا يغيب عن صياغة المشهد الإنسانيِّ.

سوق واقف عصب التاريخ

لأنَّها تحبُّ سوق واقف، وهو واحدة من مفاخر إرث سموِّ الأمير الوالد، تذهب مزهوَّةً إليه، ترسم التشكيليَّة القطريَّة وفيقة سلطان لذهابها لوحة من الكلمات الرائعة: حينما نمرُّ اليوم، في أزقة سوق واقف، فنحن لا نمشي في ممرٍّ تجاريٍّ، بل نمشي في "عصب التاريخ". لقد كانت رؤية سموِّه عبقريَّةً في بساطتها؛ إذ أدرك أن الحداثة بلا جذور هي شجرةٌ هشَّة، فجاء الترميمُ وفاءً للماضي لا هروبًا من الحاضر، فأعاد سموُّه إحياء الحِرَف، ونفخ الروح في الفنون الشعبيَّة، وجعل من العادات والتقاليد القطريَّة "نصًّا" حيًّا في قلوب الأجيال الجديدة.

واختتمت الفنَّانة وفيقة سلطان شهادتها بالقول: يذكر القطريُّون الأمير الوالد بالحبِّ والتقدير والإجلال، يتذكَّرون صدقه وتواضعه الجمَّ، ويعرفون -أيضًا- أنه هو مَنْ أنقذ سوق واقف من الإهمال والاندثار، فقد رفض هدمه، وأمر بإعادة بنائه بموادَّ تراثيَّة قديمة كالطين والجصِّ، ليحافظ على هويَّته وأصالته، وكان يجلس في مقاهيه الشعبيَّة للتواصل المباشر مع مواطنيه، ومع الزوَّار. كان الأمير الوالد يصف سوق واقف بأنه جوهرة تاريخيَّة وحضاريَّة لأهل قطر.

مرحلة تحوُّل حقيقيَّة

محظوظون -حقًّا- مَنْ عرفوا سموَّ الأمير الوالد، واستلهموا مشروعه الثقافيَّ الكبير، برؤًى إبداعيَّة مستقبليَّة، بل إنَّ كلَّ من عاش ذلك الحَراك الثقافيَّ الذهبيَّ يشعر بالفخر والاعتزاز، هذا ما قاله المخرج والممثِّل القدير فالح فايز، المدير السابق لمسرح قطر الوطنيِّ، مستذكرًا تلك المرحلة: لقد حظيتُ بشرف معايشة تلك المرحلة، وأن أكون ضمن الحَراك الثقافيِّ الذي شهدَتْه دولة قطر في عهد سموِّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، وهي مرحلة شكَّلت نقطة تحوُّل حقيقيَّة في مسيرة الثقافة القطريَّة: كانت الرؤية الثقافيَّة، آنذاك، تقوم على أن الثقافة ليست نشاطًا هامشيًّا، بل هي جزءٌ أساسيٌّ من مشروع بناء الدولة والإنسان، وقد انعكس ذلك في دعم المؤسَّسات الثقافيَّة، ورعاية المسرح والفنون والآداب، وإنشاء المتاحف والمراكز الثقافيَّة، وإتاحة الفرصة للمبدعين القطريِّين للمشاركة في المحافل العربيَّة، والدوليَّة.



فالح فايز: ألغى الرقابة وراهن على إحساس المبدع بالمسؤوليَّة

المثقَّف شريك في التنمية

ويتابع فالح فايز: لقد جعل سموُّه من المثقَّف شريكًا في التنمية، ومن الثقافة هويّة الوطن، وواجهته الحضاريّة؛ فلم يكن الدعم مقتصرًا على الجانب المادّي فحسب، بل كان هناك -أيضًا- إيمانٌ حقيقيٌ بأنَّ الفنَّان أو المثقَّف شريك في التنمية، وأن الثقافة تمثِّل هويّة الوطن وواجهته الحضاريّة. واليوم، عندما أنظر إلى تلك المرحلة، أجد أن كثيرًا ممَّا نراه من حضور ثقافيٍ لقطر، على المستويَيْن: الإقليميّ والدوليّ، هو امتداد لتلك الرؤية التأسيسيَّة التي أرست قواعد العمل الثقافيّ، وفتحت آفاقًا واسعة أمام الأجيال الجديدة، ورسَّخت مكانة قطر بوصفها حاضنة للإبداع والفكر والفنون، مضيفًا: ويبقى التحدّي، اليوم، هو كيف نحافظ على هذا الإرث، ونستمرُّ في تطويره بما يواكب المتغيّرات مع الحفاظ على الهويّة الوطنيَّة والقيم الأصيلة التي كانت (وما زالت) أساس المشروع الثقافيّ القطريّ.

تشجيع الحركة المسرحيَّة

أمَّا عن المسرح في دولة قطر، وموقعه في ميزان الإرث الثقافيّ للأمير الوالد، فيقول فالح فايز: كان سموُّه ينظر إلى المسرح باهتمام يتجاوز صفته أميرًا للدولة، وداعمًا للمؤسَّسات الثقافيَّة؛ فقد كان متابعًا ومشجّعًا حقيقيًّا للحركة المسرحيَّة وللفنَّانين، وكان حضوره للعروض المسرحيَّة يحمل قيمة كبيرة بالنسبة إلينا؛ لأنَّ وجوده بين الجمهور كان يمنح الفنَّانين شعورًا بأنَّ ما يقدّمونه محلَّ تقدير واهتمام من قِبَل أعلى مستوى في الدولة، ولم يكن حضوره حضورًا بروتوكوليًّا، بل كان يتابع العرض، ويتفاعل معه، ويحرص، بعد انتهائه، على تهنئة الفنَّانين والقائمين على العمل وتشجيعهم، ويضيف فالح فايز: هذا التشجيع المباشر كان يترك أثرًا كبيرًا في نفوس المسرحيّين، ويمنحهم دافعًا للاستمرار وتقديم أعمال أفضل. كما كان سموُّه يؤمن بأنَّ المسرح ليس وسيلة للترفيه فحسب، بل هو -أيضًا- منبر ثقافيٌ وتربويٌ يعكس قضايا المجتمع، ويحافظ على هويّته، ويسهم في بناء الوعي، وقد انعكس هذا الاهتمام - برأي المسرحي فالح فايز - في دعم الحركة المسرحيَّة، وتوفير الإمكانات للمسرحيّين، وتشجيع المشاركات المحلّيَّة، والمشاركات الخارجيَّة، والحرص على أن يكون للمسرح القطري حضور فاعل في المشهد الخليجيّ، والعربيّ، وبالنسبة إلينا، نحن الذين عشنا تلك المرحلة، كان حضور سموِّ الأمير الوالد للعروض وتهنئته للمسرحيّين يمثّل دعمًا معنويًّا لا يقدَّر بثمن، ويؤكّد أن المسرح والفنَّان القطريّ لهما مكانة حقيقيَّة في المشروع الثقافيّ.

اتّساع مساحة الحرّيَّة

ويرى الفنَّان فالح فايز أنَّ من أبرز ما ميَّز عهد سموِّ الأمير الوالد اتّساع مساحة الثقة والحرّيَّة اللتَيْن مُنِحتا للمبدعين، وهو ما انعكس، بوضوح، على المسرح وعلى الحركة الثقافيَّة بشكل عامّ. ولم يكن الأمر مقتصرًا على المسرح وحده، بل شمل مختلف مجالات الإعلام والثقافة، حيث أُلغيت الرقابة المسبقة، وأصبح الرهان على وعي المبدع وإحساسه بالمسؤوليَّة، فكانت الحرّيَّة التي تقابلها مسؤوليَّة وطنيَّة وأخلاقيَّة؛ ما أسهم في طرح قضايا المجتمع بجرأة وموضوعيَّة، مع المحافظة على قيم المجتمع وثوابته. وقال: أستطيع أن أستشهد بتجربتي الشخصيَّة في الإعلام، فعندما كنت مخرجًا لبرنامج "وطني الحبيب"، عشت هذه المرحلة عن قرب، وكانت هناك مساحة واسعة من الحرّيَّة في استقبال اتّصالات الجمهور ومداخلاتهم على الهواء مباشرةً، كما كانت تُجرى لقاءات مع الوزراء ومديري المؤسَّسات، وتُطرح، من خلالها، الأسئلة والقضايا التي تهمُّ المواطنين بكلّ شفافيَّة واحترام، وكان سموُّه يتابع البرنامج، وهذا يعكس حجم الثقة التي كانت تُمنح للإعلام الوطنيّ، وإيمانَ القيادة بأهمّيَّة الحوار المباشر مع المجتمع.

ثم يضيف: أمَّا في المسرح، فقد انعكس هذا المناخ على النصوص والعروض، فأصبح المسرحيُّون أكثر قدرةً على مناقشة القضايا الاجتماعيَّة، والثقافيَّة، والإنسانيَّة، وتقديم أعمال أكثر نضجًا وعمقًا، وهذا من واقع تجربتي، فقد شعرنا بأن الفنَّان أصبح مسؤولاً أمام ضميره وجمهوره، وأن الحرّيَّة ليست غاية في حدّ ذاتها بل وسيلة لتقديم فنٍّ صادق يخدم المجتمع والوطن؛ لذلك أرى أن هذه المرحلة شكّلت نقطة تحوُّل مهمَّة في مسيرة الثقافة القطريَّة، وأسهمت في ازدهار المسرح، وترسيخ مكانته بوصفه منبرًا للحوار والتنوير، وشريكًا في مسيرة التنمية لدولة قطر.

بناء بيئة ثقافيَّة متكاملة

ولأنَّ الشعر العربيّ؛ الفصيح والنبطي، يحتلُّ مكانة خاصَّة في الثقافة القطريَّة، برزت، في عهد الأمير الوالد، شاعرات قطريَّات، في الفضاء الخليجيّ والعربيّ، واتَّسمت كتاباتهنَّ بالتجديد والتجريب، مشكِّلة رافدًا ضخمًا في الإرث الثقافي للأمير الوالد الذي مكَّن المبدعات القطريَّات في كلّ المجالات، ولا سيَّما مجالَيّ التعليم والثقافة، إلى جانب توفير المنصَّات الأدبيَّة، والإعلاميَّة؛ ما جعلهن أكثر فخرًا بالإرث الثقافي لسموِّه؛ كونه منجزًا يُعلي من شأن الثقافة والإبداع في الخريطة العربيَّة، والخريطة العالميَّة.

تقول الشاعرة القطريَّة سعاد الكوَّاري: أعتقد أن الإرث الثقافيّ لسموِّ الأمير الوالد، يُعَدُّ من أهمّ المنجزات التي أسهمت في ترسيخ مكانة قطر على الخريطة الثقافيَّة العربيَّة، والدوليَّة؛ فقد كانت رؤيته تقوم على أن الثقافة أحد أهمّ روافد التنمية الشاملة وبناء الإنسان؛ لذلك شهدت الدولة، في عهده، تطوُّرًا ملحوظًا في إنشاء المؤسَّسات الثقافيَّة، ودعم المتاحف والمكتبات، ورعاية



سعاد الكوَّاري: رسَّخ مكانة قطر على الخريطة الثقافيَّة عربيًّا وعالميًّا

الفنون والآداب، وتشجيع الحوار الثقافيِ، والانفتاح على مختلف الحضارات، مع الحفاظ على الهويَّة الوطنيَّة والقيم الأصيلة. مضيفة: لم يقتصر هذا التوجُّه على الجانب المؤسَّسيِ، بل انعكس في بناء بيئة ثقافيَّة متكاملة، أتاحت للمبدعين والباحثين والكُتَّاب فُرصًا حقيقيَّة للإنتاج والتفاعل وتبادل الخبرات، واليوم ما زلنا نجني ثمار تلك الرؤية التي جعلت الثقافة عنصرًا أساسيًّا في مسيرة التنمية، ورسَّخت مكانة الدولة، بوصفها مركزًا للحوار الثقافيِ، والإبداع.

رعاية ديوان العرب

وأكَّدت الشاعرة سعاد الكوَّاري أن سموَّ الأمير الوالد كان ينظر إلى الشعر كونه ديوان العرب، وأنه أحد أهمِّ تجلّيات الهويَّة الثقافيَّة والتراث العربيِ، وكان يؤمن بأن الشعر ليس فنًّا أدبيًّا فحسب، بل هو -أيضًا- وسيلة للتعبير عن قيم المجتمع وتاريخه وطموحاته، ولذلك أولاه اهتمامًا خاصًّا، سواء من خلال رعاية الفعَّاليات الشعريَّة، أو دعم المبادرات التي تحتفي بالشعراء، وتمنحهم مساحة للتعبير والإبداع، مشيرةً إلى أن هذا الاهتمام امتدَّ إلى مختلف مجالات الإبداع الأدبيِ، والإبداع الفنِّيِ، إذ كانت رؤية سموِّه تقوم على أن الاستثمار الحقيقيَّ يبدأ بالإنسان المبدع، وأن ازدهار المجتمعات يقترن بازدهار الفكر والثقافة، وتابعت: لقد انعكس ذلك في دعم البرامج الثقافيَّة، وتشجيع المواهب الشابَّة، وتهيئة بيئة تتيح للمبدعين تقديم أعمالهم، والوصول بها إلى جمهور أوسع؛ وهو ما أسهم في تنشيط الحركة الأدبيَّة، والثقافيَّة بصورة واضحة.

دعم نشر الكتاب

ومن خلال تجربتها في مجال النشر، تقول الشاعرة سعاد الكوَّاري: المرحلة التي شهدت هذا الاهتمام بالثقافة، كان لها أثر بالغ في تطوير صناعة الكتاب، وتعزيز الوعي الثقافيِ، عبر تنظيم معارض الكتاب، وتشجيع القراءة، وتوفير منصَّات تُمكِّن الناشرين من عرض إنتاجهم والتواصل مع القُرَّاء والمثقَّفين من مختلف أنحاء العالم، مضيفة: هذه السياسات أسهمت في خلق حَراك ثقافيٍ مستدام، وجعلت الكتاب حاضرًا في المشهد العامِّ، بوصفه أداة للتنوير والمعرفة، وقد انعكس ذلك على زيادة الإقبال على القراءة، واتِّساع فرص النشر والترجمة، وظهور مبادرات نوعية تدعم المؤلِّفين الشباب، وتفتح آفاقًا جديدة أمام صناعة النشر. من وجهة نظري، إن هذا الدعم لم يكن موجَّهًا للكتاب بوصفه منتجًا ثقافيًّا فحسب، بل كان -أيضًا- استثمارًا طويل الأمد في بناء مجتمع المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار والانفتاح، وتعزيز مكانة الثقافة باعتبارها ركيزة أساسيَّة للتنمية والنهضة.

وقفٌ يعبرُ الزمن
مركز حمد بن خليفة الحضاريُّ في كوبنهاغن

هناك رجال يصنعون الأحداث، وهناك رجال يصنعون التاريخ، والفرق بينهما أن الأوَّل يترك خبرًا في الصحف، أمَّا الثاني فيترك أثرًا في حياة الناس لا تمحوه السنون، ومن هؤلاء - بلا شكٍّ - سموُّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، الذي لم يكن عطاؤه للمسلمين في أوروبا منحة عابرة أو موقفًا سياسيًّا مؤقَّتًا، بل كان نابعًا من رؤية حضاريَّة بعيدة المدى، أدركت أن مستقبل الإسلام في الغرب لا يُصان بالشعارات، إنما ببناء الإنسان، وإقامة المؤسَّسات، وصناعة الجسور بين المسلمين ومجتمعاتهم.

وأنا أكتب هذه الكلمات، لا أكتب عن رجل سمعت عنه، بل عن رجل نعيش كلَّ يوم ثمار ما غَرَسه، فكلَّما دخلت مركز حمد بن خليفة الحضاريّ في كوبنهاغن، وكلَّما ارتفع الأذان من منارة مسجد خير البريَّة، تذكَّرت أن وراء هذا المشهد رجلاً آمن بأن للمسلمين في أقصى شمال أوروبا حقًّا في أن يكون لهم بيت يعبدون فيه ربَّهم بكرامة، ويتعلَّم فيه أبناؤهم دينهم بثقة، ويتحاورون فيه مع غيرهم بلغة الاحترام والمحبَّة.

لقد جاء هذا المشروع في زمن كان من أصعب الأزمنة على المسلمين في الدنمارك وأوروبا الغربيَّة، فقد كانت الحملات على الإسلام في أوْجِها، وكانت الإساءات إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) تتكرَّر، وكان الدفاع عن الإسلام ورموزه يكلِّف أصحابه كثيرًا من الاتِّهامات والضغوط والعزلة، وفي تلك اللحظة التاريخيَّة، كان كثيرون يتردَّدون في دعم أيِّ مشروع إسلاميٍّ كبير في أوروبا، خوفًا من الحملات الإعلاميَّة أو الحسابات السياسيَّة.

لكن سموَّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة (رحمه الله) اختار أن يقف في الجانب الصحيح من التاريخ؛ لم يختر المواجهة بالصخب، بل اختار أن يواجه الجهل بالعلم، والكراهية بالحوار، والخوف ببناء مؤسَّسة حضاريَّة مفتوحة للجميع، وهكذا وُلد مركز حمد بن خليفة الحضاريُّ، ليصبح، مع مرور السنوات، واحدًا من أهم المعالم الإسلاميَّة في أوروبا الشماليَّة.



عبد الحميد الحمدي
رئيس مركز حمد بن خليفة الحضاري في الدنمارك



مركز حمد بن خليفة الحضاري في كوبنهاغن

مسجد خير البريَّة

مسجد "خير البريَّة" يؤدِّي فيه الناس صلواتهم، لكنه -أيضًا- مدرسةٌ للأجيال، ومنارة للوسطيَّة، ومركز لتكوين الشخصيَّة الإسلاميَّة المتوازنة؛ مئات الأطفال والشباب تعلَّموا بين جدرانه القرآن الكريم، واللغة العربيَّة، وأخلاق الإسلام، وتربُّوا على أن يكونوا مسلمين صالحين ومواطنين صالحين في الوقت نفسه، يحملون الخير لأوطانهم كما يحملونه لأمَّتهم.

لقد كانت المنارة التي تعلو المسجد أكثر من معلم معماريٍ؛ كانت رسالة صامتة تقول إن الإسلام ليس غريبًا عن هذه الأرض، وإن المسلمين جزء من نسيج المجتمع الأوروبيِ، يسهمون في بنائه، ويحترمون قوانينه، ويشاركون في خيره العامّ؛ ولهذا أصبحت هذه المنارة - في نظري - لا تنير سماء كوبنهاغن وحدها، بل تبعث برسالة أمل إلى المسلمين في الدول الإسكندنافيَّة وأوروبا الغربيَّة كلِّها.

ومن نِعَم الله على هذا الصرح أنه لم يتحوَّل إلى مؤسَّسة منغلقة على المسلمين، بل أصبح بيتًا للحوار بين أتباع الثقافات المختلفة؛ فاستقبلنا على مدار السنوات مسؤولين، ورجال دين، وأساتذة جامعات، وطلَّاب مدارس، وإعلاميِّين، وسياسيِّين، وجيرانًا جاؤوا بدافع الفضول، فعاد كثير منهم بصورة مختلفة عن الإسلام، بعد أن رأوه في أخلاق أهله لا في عناوين الأخبار.

وأشهد - من خلال مسؤوليَّتي في هذا المركز - أن أثر هذا المشروع تجاوز الجانب الدينيّ إلى البعد الاجتماعيّ والبعد الإنسانيّ؛ فقد أسهم في احتواء الشباب، وتقوية الأُسَر، وإصلاح ذات البين، وتشجيع العمل التطوعيّ، وتعزيز روح المواطنة الصالحة، حتى أصبح نموذجًا عمليًّا لما يمكن أن يقدِّمه الإسلام للمجتمع الأوروبيِ عندما يُفهم على حقيقته.

نموذج إسلاميٌّ حقيقيٌّ

لقد فهم سموُّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة (رحمه الله)، حقيقة الوقف في الإسلام، فالوقف ليس بناءً من حجر فحسب، بل هو -أيضًا- استثمار في الإنسان، وصدقة جارية تنبض بالحياة جيلاً بعد جيل، وما نراه اليوم من استقرار للمركز، واستمرار لرسالته، واتِّساع لدوره، هو ثمرة تلك الرؤية البعيدة التي تجاوزت حدود اللحظة، ونظرت إلى مستقبل المسلمين في أوروبا بعين المسؤوليَّة.

وسيأتي يوم قد لا يعرف فيه كثير من زوَّار هذا المسجد تفاصيل قصَّة تأسيسه، لكنهم سيدعون لصاحب الفضل كلَّما دخلوا هذا المكان، أو تعلَّم طفل آية من كتاب الله، أو أعلن إنسان إسلامه، أو جلس مسلم وغير مسلم يتحاوران في رحابه باحترام وسلام؛ وهكذا تبقى الأعمال الصالحة أبلغ من الأسماء، ويبقى الوقف الصادق أخلد من العمر.

رحم الله الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة، وجعل هذا الصرح الحضاريّ في ميزان حسناته إلى يوم الدين، وسيظلُّ مركز حمد بن خليفة الحضاريُّ، ومسجد خير البريَّة شاهدَيْن على أن الرجال قد يرحلون، لكن الرؤية الصادقة لا تموت، وأن أعظم ما يورِّثه الإنسان بعد رحيله ليس المال ولا السلطة، إنما الأثر الذي يُقرِّب الناس إلى الله، ويصلح بينهم، ويجعلهم أكثر إيمانًا، وأكثر إنسانيَّة، وأكثر قدرة على العيش المشترك.

استمرار الرسالة الحضاريَّة

ومن تمام الإنصاف - ونحن نستذكر فضل سموِّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله) - أن نشهد، كذلك، بأن هذه الرسالة الحضاريَّة لم تتوقَّف برحيله عن سدَّة الحكم، بل وجدت امتدادها الطبيعيَّ في عهد حضرة صاحب السموِّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني (حفظه الله)، الذي تسلَّم راية القيادة من والده في مشهد حضاريٍ نادر، يجسِّد استمراريَّة الدولة ورسوخ الرؤية، ولم يقتصر هذا الامتداد على المحافظة على هذا الصرح، بل تجدَّدت رعايته ودعمه ليواصل أداء رسالته في خدمة المسلمين والمجتمع الدنماركيّ معًا.

لقد أدرك سموُّ الأمير الشيخ تميم أن قيمة مركز حمد بن خليفة الحضاريِ لا تكمن في حجارة بنائه، إنما في رسالته، ولذلك استمرَّت عنايته به ليظلَّ جسرًا للحوار بين الحضارات، ومنبرًا للتفاهم بين أتباع الديانات، وموطنًا للتلاقي الإنسانيِ، وفضاءً للتعايش الإيجابيِ، وحاضنةً للفعل الحضاريِ الذي يبني الإنسان، ويُحصِّن الشباب، ويعزِّز الانتماء، وينشر قيم الاعتدال، والرحمة، والاحترام المتبادل. وهكذا، بقي المشروع وفيًّا للرؤية التي انطلق منها، تتعاقب عليه الأجيال، بينما تظلُّ رسالته ثابتة: أن الإسلام، حين يُقدَّم في صورته الصحيحة، يكون قوةً للبناء لا للهدم، وللتعارف لا للتنافر، وللسلام لا للصراع.

ومن موقع المسؤوليَّة التي تشرَّفتُ بها رئيسًا لهذا المركز، أقول بكلِّ صدق: إننا لمسنا هذا الدعم المتواصل، ورأينا أثره في استمرار الرسالة واتِّساعها، حتى غدا المركز اليوم نموذجًا أوروبيًّا يُحتذى به في الجمع بين الاعتزاز بالهويَّة الإسلاميَّة والانفتاح على المجتمع، وفي ترسيخ ثقافة المواطنة الصالحة والتعايش واحترام التنوُّع، وهي شهادة أؤدِّيها لله، ثم للتاريخ، وفاءً لمن أسَّس، وإنصافًا لمَنْ واصل، وحفظًا لذاكرة مشروع حضاريٍ، ستبقى آثاره - بإذن الله - ممتدَّة في الأجيال القادمة.

> مركز حمد بن خليفة الحضاريُّ أصبح أحد أهمِّ المعالم الإسلاميَّة في أوروبا
>
> عبد الحميد الحمدي



أطفال في مركز حمد بن خليفة الحضاري

الأمير الوالد
صاحب الرؤية العربيَّة الإسلاميَّة المستنيرة

محمَّد المليوي
رئيس وقف الأمانة في النرويج

لا تُخلِّد الأمم أسماء قادتها بما شيَّدوه من عمران فحسب، بل بما غرسوه من أفكار، وما تركوه من قيم، وما أسَّسوا له من مشاريع تنمو آثارها مع الزمن، أيضًا؛ ومن هذا المنظور، يبرز الإرث الثقافيُّ والإنسانيُّ الذي تركه سموُّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، بوصفه أحد النماذج العربيَّة التي آمنت بأن الثقافة والحوار والمعرفة تمثِّل أدوات فاعلة لبناء الإنسان وتعزيز السلم المجتمعيّ.

ولعلَّ النرويج تقدِّم مثالاً معبِّرًا على هذا الأثر، حيث أسهم دعم المراكز الثقافيَّة الإسلاميَّة والمساجد في ترسيخ حضور مؤسَّسيّ معتدل للجاليات الإسلاميَّة، يقوم على الانفتاح والتواصل، ويجعل من هذه المؤسَّسات فضاءات للتعليم والثقافة والخدمة المجتمعيَّة، إلى جانب رسالتها الدينيَّة.

لقد كانت هذه الرؤية تتجاوز حدود إنشاء المباني، لتؤسِّس لمشروع حضاريٍ يرى في المسجد مركزًا للعلم، وفي المركز الثقافيّ جسرًا للحوار، وفي العمل المجتمعيّ وسيلة لتعزيز الثقة المتبادلة بين أبناء المجتمع الواحد، على اختلاف أديانهم وثقافاتهم.

نموذج عمليٌ للإسلام

وفي مجتمع متنوِّع كالمجتمع النرويجيّ، حيث يلتقي القادمون من ثقافات متعدِّدة تحت مظلَّة دولة تؤمن بالتعدُّديَّة وحقوق الإنسان، برزت أهمِّيَّة المؤسَّسات الإسلاميَّة المعتدلة في تقديم نموذج عمليٍ للإسلام؛ لا من خلال الخطاب النظريّ وحده، بل عبر الممارسة اليوميَّة التي تجسِّد قيم الرحمة، والعدل، والصدق، واحترام القانون، وخدمة المجتمع، أيضًا.

لقد وفَّرت هذه المؤسَّسات فضاءات للحوار بين أتباع الأديان، واستقبلت وفودًا من المدارس والجامعات والكنائس والهيئات الرسميَّة، وقدَّمت صورة واقعيَّة عن الإسلام بعيدًا عن الصور النمطيَّة التي كثيرًا ما صنعتها الأحداث السياسيَّة، أو غذَّتها خطابات التطرُّف والكراهية؛ وهكذا، أصبح التعارف الإنسانيُّ بديلاً عن الأحكام المسبقة، والحوار بديلاً عن سوء الفهم.

كما أدَّت هذه المراكز دورًا محوريًّا في رعاية الأجيال الجديدة من أبناء الجاليات الإسلاميَّة، من خلال تعليم اللغة العربيَّة، والتعريف بالثقافة الإسلاميَّة، وغرس قيم المواطنة الصالحة، بما يساعد الشباب على التوفيق بين اعتزازهم بهويَّتهم الثقافيَّة، وانخراطهم الإيجابيّ في المجتمع النرويجيّ، باعتبارهما عنصرَيْن متكامليْن لا متعارضَيْن.

إن القيمة الحقيقيَّة لهذا الإرث لا تكمن في المؤسَّسات التي أُنشئت فحسب، بل في الرسالة التي حملتها، أيضًا؛ الرسالة التي تؤكِّد أن الإسلام، في جوهره، دين حضارة ومعرفة، وأن الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، عبر تاريخها الطويل، كانت منارة للتفاعل مع الشعوب، وتبادل العلوم، واحترام التنوُّع الإنسانيّ.

الحوار ضرورة حضاريَّة

لقد آمن الأمير الوالد (رحمه الله) بأن الحوار ليس ترفًا ثقافيًّا، بل ضرورة حضاريَّة، وأن الاستثمار في التعليم والثقافة والمؤسَّسات المجتمعيَّة هو استثمار في مستقبل أكثر استقرارًا وعدلاً؛ لذلك لم يكن دعم هذه المؤسَّسات موجَّهًا إلى فئة معيَّنة، بل أسهم في بناء بيئة من الثقة والتعاون، استفاد منها المجتمع بأسره.

واليوم، بعد مرور السنوات، ما زالت آثار تلك الرؤية ماثلة في الأنشطة الثقافيَّة، والبرامج التعليميَّة، ومبادرات الحوار بين الأديان، والشراكات المجتمعيَّة التي أصبحت جزءًا من المشهد المدنيّ في النرويج، وأسهمت في ترسيخ صورة الإسلام بوصفه دينًا يدعو إلى التعارف والتعاون وخدمة الإنسان.

إن الأمم تحتاج، دائمًا، إلى مَنْ يبني الجسور لا الجدران، وإلى من يؤمن بأن الثقافة قادرة على التقريب بين القلوب قبل العقول؛ ومن هذا المنطلق، سيظلُّ الإرث الثقافيُّ والإنسانيُّ الذي خلَّفه الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، شاهدًا على رؤية عربيَّة وإسلاميَّة مستنيرة، جعلت من العطاء رسالة، ومن الحوار منهجًا، ومن خدمة الإنسان قيمةً تتجاوز الحدود والجغرافيا، لتبقى أثرًا طيبًا في ذاكرة الشعوب والأجيال.



المراكز الإسلاميَّة في الغرب
فلسفة بناء الإنسان في رؤية الأمير الوالد

إبراهيم بلكيلاني

ينام المهاجر ويستيقظ على همِّ الأبناء، ينظر إلى الشوارع، وإلى مَن حوله فيرى المتساقطين في الشوارع ممَّن طحنتهم المادِّيَّات، ومُنعت عنهم نسائم الروحانيَّة، وسُحبت منهم إرادة تغيير ما بأنفسهم فسقطوا في متاع زائل، وأصبحوا عالة، لا يعيلهم أحد... يخشى أن يكون ذلك مصير أبنائه، فلا يجد من الحواضن غير المسجد والمركز الإسلاميّ ليركض إليهما ركضَ العطشان إلى الماء، ويترجَّاهم بعد أن أضناه ضياعه في متاهات طرق الغواية التي سلبته من أسرته، وأوهمته أن الانشغال بالرزق يشفع له ما قصَّر في حقِّ أسرته، يطرق أبواب المساجد والمراكز الإسلاميَّة (على قلَّتها وضعفها)، لعلَّها تنقذ ما بقي من هشيم ما صنعه تهاونُه.

كان الأمير الوالد (رحمه الله) صاحب نظر عميق، وهَمٍّ جليل، ولم تُنْسِه مشاغله عمَّا يسمع ويرى من التحدِّيَّات الجسام التي يعانيها المهاجر العربيُّ والمسلم، وبَلِيَ النداء كلَّما بلغ مسامعه، وكان عطاؤه (رحمه الله) نافذة أطلَّت على الأرواح المشتاقة إلى جمال الدين، والهويَّة، والخير، وتشهد بذلك المراكز التي شُيِّدت من خير أهل قطر، ومن فيض الأمير الوالد (رحمه الله).

يشهد الواقع والتاريخ أن ما بعثته قطر من مراكز، بتوجيه مباشر وعطاءٍ سخيٍّ من الأمير الوالد، حَمَت به العديد من أفراد الأجيال في المهاجر من الضياع، وحافظت على هويَّتهم، ورسَّخت فيهم حبَّ الأوطان، والإنسانيَّة، وتشهد أعمال تلك المراكز والمؤسَّسات بأنها كانت لبنة متينة في بناءات رفعت لواء التعايش وبناء الشراكات، ودفعت بالأجيال التي تربَّت في تلك المحاضن إلى التوازن النفسيّ والتوازن الاجتماعيّ، وتنافسوا في طلب العلم، وخدمة الأوطان، فأسهموا بذلك، في إعادة تشكيل صورة الإسلام والمسلمين، وساروا بها في دروب النقاء والصفاء أشواطًا بعيدة، وهم يتبوَّؤون، اليوم، مواقع متقدِّمة، وكان ذلك من عظائم جهود قطر، وجهود الأمير الوالد (رحمه الله).

إن فلسفة بناء الإنسان المتجذِّر في هويَّته، والمشبع بروح الإنسانيَّة، والواقف على تراب الأوطان، بغضِّ النظر عن الجغرافيا، هي ميراث عزيز تركته بصمات الأمير الوالد (رحمه الله)؛ فالإنسان، في صورته الحيَّة والمفعمة بالعطاء والخير، النابعة من روح الدين وسماحته، هو الهدف النبيل الذي رسمته تلك المراكز، وقد كانت عطاءً من رجل عظيم لبناء رجال عظماء.



سمو الأمير الوالد.. باق في القلوب

يبكيكَ دوحُ المجد



د. حسن النعمة

فـي جـنَّـةِ الـرضـوانِ طِـبْـتَ نَـزيلا
فـي الخَالدين مُـكـرَّمًا وجَـلِـيْلَا

خُـلْـدًا بِها "حَـمَـدَ" المكارِمِ والنُهى
والـصـالـحـاتِ منعَّمًا مشمولَا

يـبـكـيـكَ دَوْحُ الـمـجـدِ مـا مـدرارُه
إلَّا نـداكَ قـد اسـتُـدِرَّ هَـمـيلا

يـا بـانـيَ الـمـجـدِ الـرفـيـعِ لـدارةٍ
لاقَـتْ بجهدكَ عِزَّها المأمولَا

فـالـخُـلـد لـلـبـانـي بـإنـجـازاتِـهِ
تلك التي تُسدي الصَّنيع جميلَا

فـاضـتْ حـنـايـانـا بـفـقـدِكَ تستَقي
من طيبِ رِيِّـك ما يبلُّ غليلَا

وكـــذاك إلـهـامُ الـنـفـوسِ مَـبـرَّةٌ
تـلـقَـى بـبـاريـهـا رِضـــىً وقَـبـولَا

مـاذا أقـولُ وفـي نَـواك عـن الحِمى
ما شقَّ في فَمِ مُخلصٍ ليقُولَا ؟

فـأنـا الـمُـحـبُّ يشوقُني ألـمُ النوى
وجُـذَى المحبَّة تستحرُّ فتيلَا

ولَـعَـلَّ لـمـحًـا مـن سـنـاكَ يـزيـدني
وَقْـــدًا يـشـبُّ أُوارُهُ مشعولَا

ولـعـلَّ ذكـــرَكَ فـي الـربـوعِ يمدُّني
مـا يُـلـهِـبُ الإيـحـاءَ والـتـأمـيلَا

"حَـمَـدُ" لـنـا بـاقٍ فـفـيـه شـمـائلٌ
تبقى على كَـرِّ الـزَّمـانِ طـويلَا

والـخـالـدون صـنـيـعُـهـم فـي أمَّـةٍ
أبـــدَ الأبـيـدِ يُـجـلُّـهـم تـبـجـيلَا

سـرَّحْـتُ طرفي في مناقِبِهم وقد
أكبْرتُ وَخْـدًا في السُّرى وذَميلَا

"حَـمَـدُ" الـذي جـازَ المعاليَ إذْ سما
في الصالحاتِ وحازَها تمثيلَا

رَوَّى ربـــوعَ بلادِنـــا سَـلْـسَـالُـه
فجرَى وطابَ مشاربًا ومَسيلَا

وازدانـــتِ الأوطـــانُ فـي أردانِـهـا
زَهْـــوَى تجـرُّ بـوَشْـيِـهـنَّ ذيـولَا

"حَـمَـدُ" الـذي شـادَ الـعَلاء لموطنٍ
أضـحـى يُـعـانـق ظاعـنًا ونـزيلَا

طـابَـتْ مـرابِـعُـه وطـابَ مَـراحُـهُ
بـالـمبـدعيـن مـواهـبًا ومـيـولَا

وعـلَـتْ مـنـائـرُ عِـــزَّةٍ وهِـدايـةٍ
بـالـعِـلْـمِ مكتنِبًا بـهـنَّ فصولَا

وسـرى الـضـيـاءُ إلـى مـعـالـمِ دارَةٍ
نـهـفـو إلـيـهـا بُـكـرةً وأصـيـلَا

قـد وُفِّـقَـتْ فـيـهـا جـهـودُ جـمَّـةٌ
تُزهِيكَ عَرْضًا في البلاد وطولَا

"حَـمَـدُ" الـذي تزهو بطيب خصالِهِ
دارُ تُـحـيِّـي سـعـيَـه الـمـبـذولَا

رَيَّـا تـــرومُ الـمـجـدَ فـي ألـطـافِـهِ
وتـــراهُ ظلًّا وارفًـــا وظـلـيـلَا

الـوالـدُ الـسـمحُ الأمـيـرُ تجـمَّـعـتْ
فيه الخِصَالُ فحازَها تفضيلَا

ســارتْ بـذكـراهُ ركـائـبُ مـوطـنٍ
بـنـهـاجِـهِ تستلهمُ الـمـأمـولَا

بـعـطـائِـهِ الـثـرِّ الـنـديِّ تـعـلَّـقـتْ
ترنـو لـذيَّـاك الـعـطـاءِ جـزيلَا

فـسـمـاحـةُ "الـحَـمَـدِ" الأبـيِّ رسـالـةٌ
تستلهمُ الـممـنـوحَ والـمـبـذولَا

تستلهمُ الـقـيـمَ الـوِضـاءَ فَـرَاقِـدًا
تُثْري بهنَّ ظلامَـهـا المسدولَا

بـك يـا أمـيـرَ الـخـيـرِ ضُـمِّـخَ مـوطـنٌ
بالطَّيِّبَاتِ سمَا ذُرًى وسهولَا

وسـمـاحُ بَـذْلِـكَ قـد أبـرَّ مـرابـعًـا
طابَتْ ونالَتْ في عُلاكَ وصولَا

"حَـمَـدُ" الـذي إمَّـا عَـدتْ خِصالَهُ
ألـفـيْـتَـهـا فـي جـيـنِـنـا إكـلـيـلَا

أعـطـى الـمـرابـعَ حـقَّـهـا فـتـضـوَّعَـتْ
تجرِي بسَلْسالِ النَّماءِ مسيلَا

فـالـدوحـةُ الـزَّهـراءُ جـلَّـلَـهـا الـنـدى
بـنـداكَ يـا "حَـمَـدَ" الـعُـلا تـنويلَا

"حَـمَـدُ" الـذي أعـطـى الـبـلادَ وزانَـهـا
بالمعطياتِ وخَصَّها تفضيلَا

هـذي طلائـعُـكَ الـتـي بـكَ تـقـتـدي
أضحَتْ بأكنافِ الأميرِ شُبولَا

تـزجـيـكَ فـي يـومِ الـرحـيـلِ تـحـيَّـةً
تُعْلِي مقامَكَ لا تـرومُ رحـيلَا

يـا أيُّـهـا الـحَـانِـي أبـو الـوطـنِ الـذي
صـافـيـتَـهُ يـرنـو إلـيـكَ مُـجِـيلَا

مـتـذكِّـرًا فـيـك الـمـنـاقـبَ والـنـدى
وكـذا الأوائـلُ في القرون الأولَى

مـاذا أقـولُ وفيكَ يا "حَـمَـدُ" هَمَتْ
عيني ودمـعـي يُـسـتَـدَرُّ هَـمـيلَا؟

بـاقٍ عـلـى كَـــرِّ الـزَّمـان مُـمَـجَّـدُ
نُزجيكَ رُحْـبًا بالوفاءِ جَـزيلَا

"بـو مـشـعـل" بـاقٍ وبـــاقٍ ذكـــرُهُ
بالحَمْدِ يُلهِمُ موطنًا ورَعـيلَا

بـاقٍ لـنـا "حَـمَـدُ" وفـي تَـذْكـارِه
نـهـجٌ يطيبُ لِسالكينَ سَـبيلَا

عَـلِـقَـتْ بـكَ الأكـبـادُ وهـي حَـفِـيَّـةٌ
بِـكَ بـارقًـا لـمَّـا يـغُـضُّ كَـلـيلَا

***

رُحـمـاكَ يـا ربِّي بـمـن أودعـتَـه
غُـرَفَ الجِنَانِ وقد أتاكَ نَـزيلَا

رُحماكَ بـ "الحَمَدِ" الكريمِ تفاوحَتْ
أنـــداؤُهُ إمَّـا مـضَـى مَـحـمـولَا

فـاقْـبَـلْ رثـائـي يـا عـزيـزُ مـحـبَّـةً
تُصفِيْكَ ودًّا في الحياةِ وَقِـيْلَا

رثاء الأمير الوالد
الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

د. حجر أحمد البنعلي



سمو الأمير الوالد (رحمه الله) يسلم سعادة الطبيب والشاعر الدكتور حجر البنعلي

وزير الصحة القطري الأسبق جائزة الدولة التشجيعية عام 2005

نَعَوكَ يا صاحِبي والصَّحبُ قد بانوا
ضجَّت لفقدِكَ أوطانٌ وأكوانُ

نَعوكَ يا حَمَدُ والنَّعيُ يَحزُنُني
فالقَلبُ تَعصرُهُ بالفَقدِ أحزانُ

قد كان حالُكَ قبلَ الموتِ يؤلِمُني
وأنتَ في غَفوَةٍ والدَّاءُ يَقظانُ

صَبَرتُ حتى بَدَا دَمعي يُغرِّقُني
والقلبُ يَغمُرهُ سَأمٌ وأشجانُ

عَليلُ فَقدِكَ في حُزنٍ وفي ألمٍ
فكيفَ تُغمضُ لي في الليلِ أجفانُ؟

أبكيكَ شَيخًا توارى في الثرى جسدًا
ذِكراهُ فَضلٌ وإحسانٌ وعِرفانُ

بكَيتُ ثمَّ بَكَى شِعري لفُرقَتِهِ
مِثلي بَكَت لِفراقِ الشَّيخِ أوطانُ

للهِ كم حَزَّ في أحشائِنا ألمُ
أضنى الفُؤادَ ودَمعُ العينِ هَتَّانُ!

أقولُ وا أسَفي والدَّمعُ مُنهَمِرُ
كَأنَّمَا الدَّمعُ فوقَ الخدِّ طُوفَانُ

يُعينُني الدَّمعُ في التَّخفيفِ عَن أَلَمٍ
والدَّمعُ عَونٌ لِمَن في المَوتِ حَيرانُ

بَكى المُحِبُّونَ فانهَلَّت مَدامِعُهم
كأنَّما ثارَ في الأحشاءِ بُركانُ

مضى إلى الخُلدِ عَن دُنيايَ مُبتعدًا
فضَمَّه في جِنانِ الخُلدِ رِضوانُ

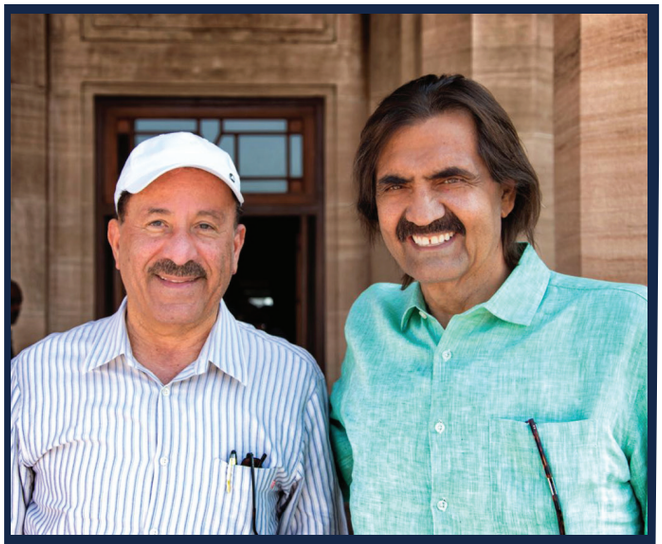
فَقَدتُ شَيخي وحُزني لا يفارِقُني
ما لي عن الشَّيخِ يا رَبَّاهُ سُلوانُ

أُحِسُّ بالحُزنِ في الأحشاءِ يَحرِقُني
والحُزنُ في القَلبِ يا وَيلاهُ نِيرانُ

قد زادَ حُزنِيَ فَقدُ لا رُجُوعَ لَهُ
فالقَلبُ يَبكي وجَفنُ العَينِ مَلآنُ

هذي الرَّزِيَّةُ عَمَّت كُلَّ مَوطِننا
فما لها بينَ أهلِ الدارِ نِسيانُ

أرزاءُ فَقدِكَ لِلأهلينَ قاسِيَةٌ
والشَّعبُ أرزَى بِهِ فَقدٌ وخُسرانُ


في الهند ٢٧ نوفمبر ٢٠١٥

قد شيَّعَتكَ شُيوخُ الدَّارِ قاطِبةً
والشَّعبُ شَيَّعَ: شُبَّانٌ وشِيبانُ

ألَمَّ بالدَّارِ خَطبٌ لا مَرَدَّ لَهُ
فجلَّلَ الدارَ أتراحٌ وأحزانُ

والآنَ لمَّا مَضى أصبحتُ مُضطَرِبًا
أصارِعُ الحُزنَ، ما للحُزنِ كِتمانُ

مَضى إلى اللهِ والأكتافُ تحمِلُهُ
وضَمَّهُ في رحابِ القَبرِ أكفانُ

قد ضَمَّهُ القَبرُ والأحبابُ تَفقِدُهُ
هل يا إلهيْ بيومِ الحَشرِ لُقيانُ؟

كَمْ فارقَ العَيْنَ أصحابٌ وخِلّانُ
أصحابُ عِلْمٍ وآدابٍ، وأعيانُ

كَمْ غَيَّبَ الدَّهرُ أصحابًا سَعِدتُ بِهِم
لم يَبقَ لي بعدَهمْ يا رَبُّ سُلوانُ

ما للمنايا على الأحبابِ داهِمَةٌ
لم ينجُ من بطشِها في الأرضِ إنسانُ

فجائعُ الدَّهرِ دوَّتْ في مَسامِعنا
والقلبُ يخفقُ والإنسانُ حَيرانُ

قد حِرتُ في الدَّهرِ؛ كُلُّ العُمرِ مُنقَلِبٌ



لقطة مزاح بين القائد الراحل ووزير الصحة الأسبق

في كُلِّ يومٍ لهُ في شأنِنا شانُ
أضفَى عليَّ سِماتِ الشَّيبِ يُنذِرُني
بالعَجزِ والحَيْنِ إنَّ الدَّهرَ سُلطانُ[3]
لم يبقَ لي في الدُّنى يا ربُّ من أرَبٍ
كلُّ الحياةِ خساراتٌ وأشجانُ[4]
هذي الحياةُ مَلَلْنا شَرَّ قَسوَتِها
فكلُّها ألمٌ إنْ حلَّ فُقدانُ
شيخُ الشُّيوخِ أميرُ الدَّارِ أنتَ لَنا
تَرعى الدِّيارَ وللأهلينَ مِعوانُ
الحُكمُ عندَكَ مَعروفٌ بحزمِكمُ
وعَدلُ عَهدِكَ للحُكّامِ مِيزانُ
قد طابَ ذِكرُكَ بينَ النَّاسِ أجمَعِهم
وزانَ ذِكرَكَ إيمانٌ وإحسانُ

طابتْ محاسنُكم للنّاسِ في بلدي
ما كانَ في طبعِكم ظلمٌ وعدوانُ
شيخٌ مُحِبٌّ لأهلِ الدَّارِ كلِّهمُ
ما في خَصائِلِهِ عَيبٌ ونُقصانُ
كنتَ الأميرَ عزيزَ النّاسِ في وطني
وهُمْ بحُبِّكَ قد عَزُّوا وما هانوا
عمَّرْتَ في الدَّارِ واستحدثتَ أنظِمَةً
أنَّى نَظرتُ فبُنيانٌ وعُمرانُ
تواضُعُ الشَّيخِ بين الناسِ مُشتَهَرٌ
والصِّدقُ والعَدلُ عند الشيخِ أقرانُ
مُستمكِنُ الرَّأيِ مَعروفٌ بفِطنَتِهِ
يَرعى الدِّيارَ وللأوطانِ يَقظانُ
قد فاقَ حاتِمَ طيٍّ في مكارِمِهِ
وهمُّهُ لِعَمارِ الدَّارِ إنسانُ

فَضلُ الأميرِ علينا أنَّ شِيمَتَهُ
جُودٌ وحِلمٌ وإحسانٌ وتَحنانُ

وكمْ أعنتَ يتيمَ الدَّارِ تُسعِفُهُ
وليسَ مثلَكَ في الحكَّامِ مِعوانُ

لبَّيتَ لي طَلَبًا للدارِ تُنشِئُهُ
طِبّي وقَلبي لِمَشفى القَلبِ ظَمآنُ[5]

قد كانَ حُلمي لطِبِّ القَلبِ في وَطني
فالصَّرحُ يا شَيخُ للإنسانِ إحسانُ[6]

أحسنتَ للنَّاسِ في إنشائِهِ لَهمُ
مَشفى القُلوبِ لِحُبِّ النَّاسِ بُرهانُ

رافقتُكم قَبل أن تُضحِي الأميرَ لنا
وليُّ عَهدٍ لِخيرِ الدَّارِ يَقظانُ

لم أنسَ يا شَيخُ أيّامًا لَعِبْتَ مَعي
بِمِضرَبٍ كُرَةً، ما حَلَّ نِسيانُ

وكنتَ تضربُ بالكفَّيْنِ في عَجلٍ
كلاهُما عندكم يا شيخُ سِيّانُ

سِرْنا جنوبًا تَصيدُ الطيرَ في قَنَصٍ
كلُّ الدُّروبِ بها رَملٌ وكُثبانُ

زمانُ أُنسٍ قُبيلَ الشَّيبِ يَصْرَعُني
وأنتَ في صِحَّةٍ والوَجهُ جَذلانُ

كمْ كنتُ أفرحُ إذْ رافقتُكمْ زَمَنًا
في البرِّ والبَحرِ أَصحابٌ وخِلّانُ

وكمْ رَحَلنا بـ "فتحِ الخيرِ" في دَعَةٍ
في البحرِ حُوتٌ وفي حالولَ غِزلانُ![7]

وكانَ حَولَكَ أصحابٌ أقدِّرُهم
وفي محبّتِهم صِدقٌ وعِرفانُ

فيكَ التَّواضعُ للإنسانِ أعرِفُهُ
وكُلُّ أبنائِكم للنَّاسِ إخوانُ

إنّي لأذكُرُ فَضلَ الشَّيخِ يَغمُرُني
هل يُنكِرُ الفضلَ، فضلَ الشَّيخِ إنسانُ؟

لأمرِ رَبّي إذا ما شاءَ إذعانُ
قَضى بذلكَ إسلامٌ وإيمانُ

يا والدًا لأميرِ الدَّارِ كُنتَ لَنا
نِعمَ الأميرُ فلَنْ تَنساكَ أوطانُ

أميرُنا الأبُّ ما شابَتْ ملامِحُهُ
وشابَ للصَّحبِ قبلَ الشيخِ أذقانُ

عَزَّيتُ نَفسيْ كما عَزَّيتُ نجلَكمُ
أميرُنا الشَّهمُ لابنِ الدَّارِ مِعوانُ

تميمُ يَخلُفُكم نِعمَ الأميرُ لَنا
أنتمْ ونجلُكُمُ للدَّارِ صِنوانُ[8]

عَزَّيتُ أهلَكَ في حُزنٍ وفي أَلَمٍ
والكُلُّ في أسَفٍ تَصلِيهِ أحزانُ

أرجو العَزاءَ لأهلِ الشيخِ كُلِّهِمُ
وَآلِ ثاني، وَرَبُّ العَرشِ رَحمنُ

***

الموتُ حَقٌّ ولكنْ فيهِ أشجانُ
تَصلي القلوبَ ودَمعُ العَينِ هَتَّانُ

إن حانَ موتٌ فما في الطِّبِّ مُعجزَةٌ
الموتِ فتّالِلطِومِ حَبُّبِفرلِنُ

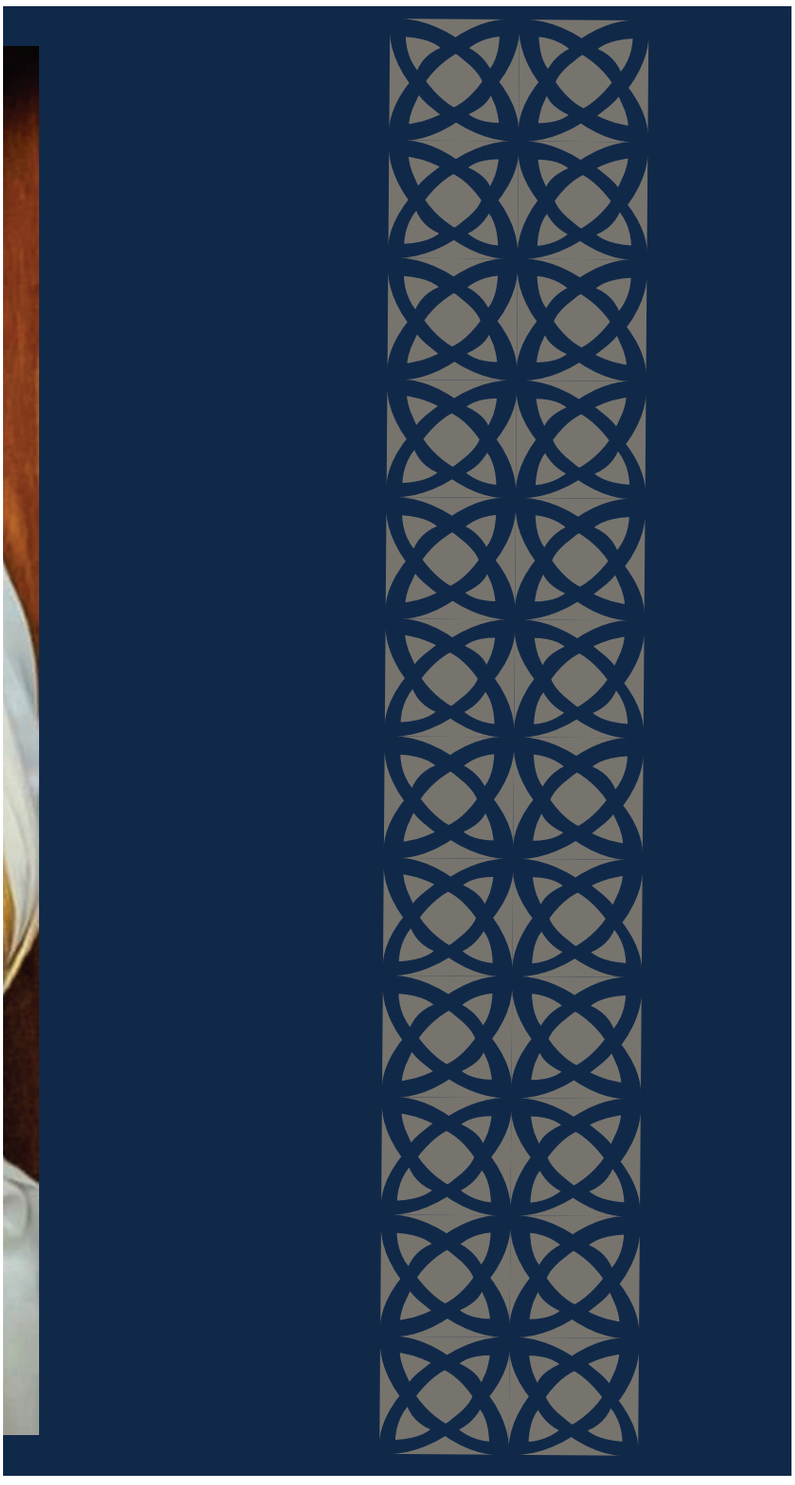
فالحَيْنُ يأتي على حُكمِ القَضاءِ لَنا
وللقَضاءِ بأمرِ اللهِ إذعانُ

يا قومُ صبرًا على ما حلَّ من قدَرٍ
سبحانَ ربّي لهُ في خَلقِهِ شانُ!

آمنتُ باللّهِ لم أُنكِرْ إرادَتَهُ
كما أبانَ لنا دينٌ وقرآنُ

أثارَ في النَّفسِ أشجانًا مُؤرِّقَةً
قد تُهلِكُ المَرْءَ أحزانٌ وأشجانُ

أرادَ لي الشَّيبُ تَركَ الشِّعرِ أهجرُهُ
لكنَّهُ الخَطبُ للأشعارِ سُلطانُ



بـدأتُ أَرثِـي وحُـزنُ الشِّعرِ يدفعُني
فسالَ دَمعي ولم تَكتُمهُ أجفانُ

تَهمي قَوافي الرِّثا لو شئتُ أَنظُمُها
لكانَ لِي في رِثـاكَ اليومَ دِيـوانُ

فالشعرُ ينبُعُ مـن قَلبي ومِـن ألَمي
وما أعـانَ على الأشعارِ شَيطانُ

يا بـنَ الخليفةِ أرثِـي فيكَ صُحبَتَنا
فمَجدُ عهدِكَ لن يَنساهُ إنسانُ

قد طـابَ ذِكـرُ أبيكَ الشيخِ والدِنا
عزَّيتُكم فيهِ لمَّا حَـلَّ فُقدانُ

كـمْ قـد رَعـانـي فلا أنسى فضـائِلَـهُ
وفضلَكُم يا سَليلَ المَجدِ سِيَّانُ

كـلُّ اِبـنِ أُنثى إلـى الأجـداثِ مُرتَحِلٌ
والـقَـلـبُ تَـمـلَـؤُه بـالـفَـقـدِ أحـــزانُ

يـا رَبِّ أَنـزِلْ جِـنانَ الخُلدِ صاحِبَنا
لـنـا بـفـضـلِـكَ يـا ربَّـــاهُ إيـمـانُ

وارحـمْ أبا مِشعَلٍ يا مَن يُجيبُ دُعا

واغـفـر لـــهُ أنـــتَ غَـفَّـــارٌ ورَحـمـنُ

شرح المفردات:

1.بانوا: رحلوا وابتعدوا.

2.رِضوان: اسم خازن الجنَّة.

3.الحَيْن: الهلاك.

4.الدُّنى: جمع دُنيا.

5.لبَّيْتَ لي طلبًا: طلب الشاعر من الشيخ إنشاء مستشفى للقلب في قطر.

6.الصَرْح: المقصود به مستشفى القلب.

7.فتح الخير: يخت الشيخ حمد للرحلات البحرية في قطر، حالول: جزيرة قطرية، أطلقت الدَّولة فيها غزلانًا تحت رعايتها.

8.صِنوان: مثنَّى صنو، وهو المثيل والنظير.



تبكي عليه الدار قبل أهلها



مبارك عبد الله آل خليفة

صبح الأحد صوت جرس الإنذار
وقمنا نتابع نشرة الأخبار

أبطالنا دون الوطن وحدوده
على وعدهم عند خطّ النار

أعمارنا بايدينهم مرهونة
وهم يرهنون الجهد والأعمار

ما فيه شي يطير قبل يُوقِّع
إلَّا تصيده موجة الرادار

الله على أعداء البلد ينصرهم
ويبقون حرز دون حَدِّ الدار

كلّ العلوم تهون يا كون اللي
يوم انتشر ضاعت معه الأفكار

كنّ السما من فوق أهلها طاحت
والأرض ضاقت لين صارت غار

والبحر صار أقوى من الصَّبِّيةْ
تجمَّد وما عاد له تيَّار

وكّنّ الهواء يحبس زفير أنفاسه
وبصدورنا تلاطم الإعصار

أقسى خبر وأحزن خبر في الدنيا
ما عاد غيره حزن مهما صار

الآدمي على النطاق الشخصي
يحزن على فقد أهله الأخيار

أمَّا قريب له عزيز وغالي
ولا صديق وافي الإشبار

وحنَّا فقدنا اللي مع فقدانه
صار الزمن في حالة استنفار

مات الزعيم اللي جعل من داره
ملجأ الضعيف ومزبن المحتار

لا ضاقت الدنيا عليه، يجيها
ويزبن، ويلقى حشمة ومقدار

ومات الزعيم اللي جعل من داره
مـــزار للـسايح وللـتـجّـار

بنى الحزم والـروض، حتّى صارت
أهـــمّ وآمـــن عـالـم استـثمار

ومات الزعيم اللي جعل من داره
عَـذرا طـروبٍ تخطف الأنظار

كنها تغريف بالجمال الساحر
وتـــزيّن الـقـصايد الشعار

ومات الزعيم اللي يحبّ عياله
اللي يتفقّدهم خَفا وجهار

هـذا يـصـوت لـه ويـقـضي دينه
وهـذاك يبني له بعد الإيجار

ومـن لا يـعـيّن فـي الـبلاد علاجه
يـسَـفّـره لـو فـأبـعـد الأقـطـار

ومـن يـكـتم بـخـاطـره سـرّ خـافي
يـدعـيه حـتى تنتهي الأسـرار

يـعَـرِفْ شـعـبـه، عـزوتـه وحـزامـه
أهل الشيَم، وأهل الوفا والكار

قـال ابـشـروا بـاللي تـبـونـه كلّه
يـا مكرمين الضيف والخطّار

أرهـــى عـلـيـهـم بـالـمـكـارم حـتى
فـتح لـبيبان الـكـرم مضمار

ومـات الـزعـيـم الـلـي يـعين الـعـالم
على الأمـن ومحـاربـة الأشـرار

أمّـــا تـوسّـط لأجـل يـنـهي أزمـة
وإلّا يـقـرّب وجـهـة الأنـظـار

يـحـــاول بـــهـــذا ويـــرضـــي هـذا
شور الهُدا، لا ضاعتْ الأشوار

تـبـكي عـلـيـه الـــدار قـبـل أهلـهـا
القـائـد الملهم والأب البار

تـبـكي عـلـيـه الـمـرجـلـة والشيمة
ويبكي عليه الجود والإيثار

يا الـعُـوْد، ما - والله - ننسى فضلك
حتى نـمـوت، وتقطع الأذكـار

لـكـن عـزانـا يـا أبـو مشعل بعدك
مجدك وتاريخك، وأمير الدار

تـمـيـم رمـــز الـمـرجـلـة والـهـيـبـة
والـعـدل والحكمة والاستقرار

رمـز الـوفـا، رمـز الـفـخـر والـعـزّة
وحـنّـا معه بـالـعـزم والإصـــرار

وأمْـوالـنـا وعـيـالـنـا وأرواحـنـا
على خُطاك نكفِل المشوار

أَحَقًّا رحيلُ الشَّيخِ؟!



عبد الرحمن عبد الله الدليمي

بِوَجهٍ رَضِيٍّ.. قَابلَ المَوتَ رَاضِيَا
وماهابَ سَهمَ المَوتِ إذْ كانَ مَاضِيَا

أَحَقًّا رحيلُ الشَّيخِ، أَمْ أَنَّهُ المَدَى
تَفَجَّرَ مِنْ نَوحِ النَّهارِ لَيَالِيَا؟

أَرِقُّ بِهَذَا النَّعيِ حَتَّى كَأَنَّنِي
فَقَدْتُ بيوم الحزن صَوْتِي وَبَالِيَا

فيا ليتَ رُوحِي.. لِلْفِدَاءِ رَهِينَةُ
لِيَبْقَى.. وأفنى هَانِئًا فِي فَنَائِيَا!

عَظِيمٌ عَلَى مِثْلِي الرِّثَاءُ.. فَمِثْلُهُ
يَفُوقُ مَقَامَاتِ البيانِ مَعَانِيَا

فَللّه وَالتَّارِيخِ.. كم أَنتَ وَاحِدٌ
سَيَنْقُلُ عَنْهُ العَارِفُونَ الأَمَالِيَا!

تُحِبُّكَ أَحْرَارُ البِلَادِ لِأَنَّهَا
تَرَى فِيكَ حُرًّا يَحفظُ العَهدَ وَافِيَا

تَصِيرُ لِأَهلِ الحَقِّ فِي كُلِّ مِحنَةٍ
تَبِيتُ لِأَوْجَاعِ الشُّعُوبِ مُدَاوِيَا

أَبَا مَشعَلِ الأَمجَادِ كنتَ إِمَامَنَا
وكنتَ على فجرِ الفَلَاحِ مُنَادِيَا

بَنيتَ لنا صَرحًا من المجدِ شَامِخًا
وَقَلَّدتَنَا بين الشُّعُوبِ المَعَالِيَا

أَحَبَّكَ أَهلُ الدَّارِ حُبًّا مُقَدَّسًا
وَبَادَلتَهُمْ حُبًّا مِنَ القَلْبِ صَافِيَا

فَإِنْ ذُكِرَ الإِنْسَانُ كنتَ تَمَامَهُ
وإنْ ذُكِرَ الإِحْسَانُ كنتَ المُجَازِيَا

تَرَجَّلْتَ عن سَرْجِ الحياةِ.. ولم تَزَلْ
أَبًا يجعلُ الآمَالَ فِينَا رَوَاسِيَا

فَليستْ حياةُ المرءِ طُولَ سِنِينِهِ
ولكن بِمَا أَبْقَى من الخَيرِ بَاقِيَا

أَبَانَا.. وقد عَزَّ اللِّقَاءُ وَأَجْهَشَتْ
لِبُعْدِكَ أَوْطَانٌ عَلَيْكَ بَوَاكِيَا

أبا المَكْرُمَاتِ الغُرِّ.. جَفَّتْ قُلُوبُنَا
وَحَلَّتْ دَيَاجِي الحُزْنِ فِينَا غَوَاشِيَا

سلامٌ على قبرٍ بِـ "لوسيل".. ضَمَّهُ
أَوَى الجسمَ، لا التَّارِيخَ، لَا وَالمَعَالِيَا

ويا رَبِّ فَارْحَمْهُ.. وأَجْزِلْ ثوابَهُ
ليزدادَ في عالي الجنانِ.. تساميَا

دارٍ ضناها العُوْد ما هي عقيمة



فالح العجلان الهاجري

يحقّ لك تبكين والناس يبكون
في موت وافي تذرف دموع شيمة

يحق لك تبكين من قلب وعيون
دمع يشابه جود هنَّان ديمة

لاصار أبو مشعل تحت الأرض مدفون
مآثره معنا عليها مقيمة

لولا البشر منها وفيها يعودون
ما له مكان إلَّا على كفوف غيمة

يشهد له الإحسان والناس يدرون
ومن قَدَّم الحسنات نال الغنيمة

بأحزاننا هيبة سلاطين وركون
والموت حقّ وللعزيزين قيمة

يا بو حمد وأنت العزاء فيه والعون
دارٍ ضناها العُوْد ما هي عقيمة

واللي على ليلاه يبكي ومجنون
غير الذي ليلاه دولة عظيمة

دفَّان الفقر

رثاء والد الجميع، سمو الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، الملقب بـ "دفَّان الفقر"

أيا شعرُ ما لي أراكَ عصيَّا
وخطبٌ وحزنٌ أتانا جَلِيَّا؟

توارَى الضياءُ وأظلمَ دربي
فكُن لي سِراجًا وكُن لي نَجِيَّا

أعِدْ لي الحروفَ وسِحرَ القوافي
وصُغْ من نزيفِ الجِراحِ نَدِيّا

فإن لم تكن في الخطوبِ نصيري
فمن ذا يُداوِي الفؤادَ الشَّجِيّا؟

أتانا النداءُ بأنَّا فقدنا
أبًا كان يحنو علينا رضيَّا

أحبَّ العبادَ أحبَّ البلادَ
فكانَ عمادًا رحيمًا حفيَّا

وشيَّدَ بينًا يحاكي السماءَ
وأغدقَ خيرًا هنيئًا مريَّا

أقول له مخلصًا صادقًا
وقد غادر العيشَ عنَّا سريَّا

دفنتَ من الشعب فقرًا وقد
غدوتَ ولم ترَ فيه شقيَّا

وقد صار يُوصَفُ أنَّى مضى
إليكَ فأكرِمْ بذاك سميَّا

ولم تكُ في كلِّ ما يعتري
قلوبَ العبادِ نسيًّا قصيَّا

وضمَّك تربُ البلادِ كما
تضمُّ رؤومُ إليها صبيَّا

وشعبُك باتَ غداةَ رحلتَ
حزينَ الفؤادِ عليكَ بكيَّا

لقد كنتَ في حكمهِ مخلصًا
وكنتَ شفوقًا وكنتَ سخيَّا



شبيب بن محمَّد العطية

جزاكَ الإلهُ على ما فعلتَ
جزاءً كريمًا جليلًا بهيَّا

ترى بكرةً كلَّ ما تشتهي
وتحظى بجودِ الكريمِ عشيَّا

* * *

ثم أتت ثلاثة أبيات، أبت إلَّا أن تكون على بحر الوافر؛ فاستبشرتُ بها لقطر وشعبها خيرًا، وعلمتُ أنَّ الخيرَ والعزَّ في هذا البيت الكريم موفورُ:

وأنعمْ بالخليفةِ من تميمٍ
غدا رمزَ البلاد الأمعيَّا

تميمَ المجدِ قد آلتْ إليكمْ
وقَد وجَدَتْ بكم حصنًا عليَّا

وصُنْتُمْ بالندى والعدلِ دارًا
بها طابَ المقامُ لَنَا هَنِيَّا

ودَّعتْ كعبة المضيوم زيزوم جيل

خيَّم الصمت واستشرى شعور الرحيل
والخبر فـكّ في صـدر الـحـزين القفول

يبكي الشعب وتجـرّ الـبلاد العويل
والـمـراثي تلعثم مـا درت وش تقول

ترثي المجد والحكمة وحَدّ الصقيل
لـوتـوقـف عـلـى الأطلال وقـفـة ذهـول

صبح يـوم الأحـد ما مَـرّ عابر سبيل
جـاب كـلّ الـفـراق اللـي يهيل العقول

ودَّعـت كعبة المضيوم زيـزوم جيل
لـو حـمـد بـن خليفة مـال نجمه أفـول

سولف المجد للتاريخ وأعطى دليل
ينتحي بـه على الأصـقـاع خُـفّ الذلـول

في الكرم والشجاعة ما خلق له مثيل
ووجـهـه اللـي كـسـاه الله شـمـوخ وقبول

تحت بشْتَهْ عن الرَّمضَا مقرّ ومقيل
لـيـن مـا عـاد خلّا لـلـصـعـايـب فـلـول

سـيرة من قـراهـا ذَبّ راس الطويل
أصـغـر حـروفـهـا الـبـذّخ يـقـول ويطول

كـلّ ما طـرَّوا اسمَه والمقام الثقيل
تستعنّ الشجاعة فـي سـروج الفعول

درع الأمَّـة إلـى بـار العميل بعميل
ثـــقـــال الـمـحـنـجَـكـج ولله يـحـدمـحـول

حـــوَّل بـغـزَّة وعـايـد رفـح والخليل
كاسـر حـصـار الأعـــدا والـهـوان مغلول

والعزا في تميم المجد زَيْن الدخيل
شيخنا اللـي ليا كـبـرَتْ يـقـول ويطول

وكلّ ما ذعذع الغربي ونبّ الوسيل
والـبـروق تلاعـب والـسـحـائـب هـطـول



شبيب بن عرار النعيمي

جعل قبره من الهمَّال وبل المخيل
تستهيض السحابة فوقه أربع فصول

تشبهَهْ يا مطر بأصدق عطاك الجزيل
جـود وبلك يغيث وجـود كفّه يعول

ولو بروقك تلوح ولو سحابك مهيل
للبحر في القبر وش عاد سيلك يقول؟

حتى الأرض ترمَّل في فـراق النبيل
تلبس اللون الأسـود في فـراق الزحول

ذكراك بين الشعب مثل الهدايا



حمد بن سالم الدعية المري

أتلا العهد بالدمع في عام الألفين
تيكَ السنة سوَّت عيوني سوايا

والبارحة هانتْ علي دمعة العين
وخبَّتْ على خدي خبيب المطايا

عليك يا دفَّان فقر المساكين
أبو المكارم كلَّها والعطايا

لك هيبة تهتزّ منها الميادين
محَنَّك لك ينحنون الدهايا

صاطي على المتغطرسين المغلّين
ومتواضع مع صادقين النوايا

يا حَيّ زولك يا حبيب الملايين
قلوبنا من كبر فقدك عرايا

أي والله إنّ الحزن فجّ الشرايين
ونعيك من الديوان دكّ الحنايا

رحلت والنسيان ما حِنْ بناسين
ذكراك بين الشعب مثل الهدايا

طيفك وتلويحك بيمناك.. روتين
ونشوف زولك في جميع الزوايا

نحبَّك ويا كثر مالك محبّين
يا ليتنا نقدر نصدّ المنايا

أي والله ان نبطي وحن مستخلين
ويبطون ما جابوك بيض الصبايا

يالعنبو من لام دمعتك يا حسين
لا حوَّلت على حميد السجايا

عساه في الجنة من المستقرّين
مع الرسول وبين خير البرايا

وحنَّا عزانا عقب فرقاه ثنتين:
ملازمة نهجه وحفظ الوصايا

مع تميم بن حمد مستعزّين
أميرنا الغالي زعيم السرايا

بأزواحنا نفداه في العسر واللين
في السلم ولا في نهار الحمايا

نشوف فيه العدل والجانب الزين
ونشوف فيه من أبو مشعل مزايا

الله يحفظ أميرنا قولوا آمين
له الولا وله الغلا والتحايا

تعجز عن رثاه العبارات



عادل الكلدي اليافعي

عَــزّ الكلام.. ولا لـقـيـنـا عـبـارات
تعكس معاناة النفوس وحزنها

غـاب الزعيم اللي بحجم المجرات
وأعلن حداد الأرض لأقصى مدنها

غـاب الـكـريـم الـلـي يـبـثّ الـمـسـرّات
والفقر والحاجة لشعبه دفنها

غـاب الشجاع اللي حياته بشارات
والأرض غطّت بالمواجع بدنها

يكسر.. ويجبر ما يهمّ الشعارات
يعطي.. ويعطي ما يهمَّه ثمنها

نـافـح وكـافـح فـي جميع الـمـقـرّات
عن أمّـتـه.. في ذمّته ما رهنها

صــورة أبــو مـشـعـل بـلـيّـا إطــارات
تبقى بوجدان الشعوب وحضنها

ضـجّـت بـمـوتـه نـايـفـات الـمـنـارات
ومن طاف بالكعبة رثاه بصحنها

مـسـيـرتـه.. تـاريـخ كـلّـه مـسـارات
مجد وكفاح وعزّ.. بيده خبنها

والله تـعـجـز عـن رثــاه الـعـبـارات
لو نكتب بماء البحر جفّ منها

ودعتك الله يا حبيب الملايين



عبد الكريم الجباري

بالله يا دمعة قطر لا تطيحين
تصبري لله سمعا وطاعة

ولا أقول يا دوحة قطر ليه تبكين
أقول ليه الكون يبكي وداعه

ولا قول ليه الشمس تطلع لـ هالحين
أقول ليه النور غيب شعاعه

راح الذي شبره عن الناس شبرين
الفارق اللي طال شبره وباعه

راح العديم الحر طلق الحجاجين
راح الكريم الي طويل ذراعه

راح العطيم اللي يناصر هل الدين
راح الزعيم الي يحفظ الوداعة

راح الذي ناصر قضية فلسطين
وقطاع غزة طب في وسط قاعه

نعم.. حمد عون الضعوف المساكين
الله يجيرك يا عدو المجاعة

تبكي عليك الروح والقلب والعين
وتبكي عليك المرجلة والشجاعة

يا الله يا ناصر عبادك بحطين
والكون بيدك ضيقته واتساعه

تغفر لمن تشهد عليه المصلين
شفاعتك ما من بعدها شفاعة

اجعل مكانه في جوار النبيين
وبينه وبين النار حصن ومناعة

الفقد شين وندري إن الجزع شين
وراضين بأمر الله بصدق وقناعة

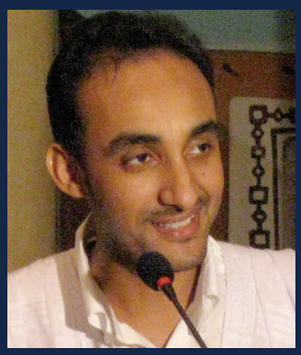
وما لوم عين لو بكت بعد غالين
الحزن ما لحد عليه استطاعة

وحنا يا بو مشعل على العهد باقين
والله فلا ننسى مواقفك ساعة

حقك علينا لا غدا الليل ثلثين
صدق القلوب اللي تلح بضراعة

ودعتك الله يا حبيب الملايين
مع السلامة يا حبيب الجماعة

يا راحلًا لم تمتْ



سيدي محمد ولد بمبا

يـا راحلًا لـمْ تـمـتْ كلًّا ولـمْ تـغـبِ
فـي القلبِ بـاقٍ بـقـاءَ الـحـرفِ فـي الكُتُبِ

يـا راحلًا فـوقَ هـامِ المجدِ مُرتفعًا
عـن قـامـةِ الـنَّـخـلِ والأنـــواءِ والسُّـحـبِ

لَـئِـنْ رحـلـتَ فـفـي الأصـــداءِ متَّسَعٌ
الـــرَّطـــبِ بميـنَ الـصَّـنَـوبـرِ والـحَـــرَكِ

لَـئِـنْ رحـلـتَ فـهـذا الـشـعـبُ بـعـدَكُـمُ
بـاقٍ على الـدَّربِ دربِ الـحـقِّ لا الـكـذبِ

مـتـى رحـلـتَ؟ وهـل حـقًّـا تُـودِّعُـنـا
أبـــا الـبـشـاشـةِ والأخلاقِ والأدبِ؟

أحـتـاجُ مـن لُـغـتـي حـرفًـا أمـــدِّدُه
كـي يـحـمـلَ الـشـعـرُ مـا بـالـرُّوح مـن تـعـبِ

أحـتـاجُ قـامـوس أسـفـارٍ وملـحـمةً
حُـبـلى كـمـا الـدَّوحـة الـغـرَّاءِ بـالـنُّـجـبِ

لـلـه درُّ تـمـيـم الـفـضـلِ أجـمـعِـهـا
مـن سـالـف الـدَّهـر حـتَّـى هـذه الـحـقـبِ!

لـكـنَّـنـا والـــعـــزاءُ الآنَ مـشـتـركٌ
مـن الـمـحـيـطِ إلـى خـلـيـجِـنـا الـعَـرَبِي

عـزاؤُنـا أنَّـنـا فـي الـــدَّربِ يـجـمـعُـنـا
فـتـى تـمـيـمٍ تـمـيـمِ الأصـــلِ والـحَـسَـبِ

يـا ناعيًا مـوتَ شـيـخٍ كـمْ نعيتَ مدًى
مـن الـتـواضـعِ كـمْ نـعـيـتَ كـلَّ أَبِـي

سـقـاكَ رَبِّي مـن الـرُّحـمـى غـواديـهِ
ووبـــلَ فـيـض مـن الـرَّحـمـنِ منسكبِ

وألـهـمَ الأهـل صـبـرًا فـي مصيبتِهم
ولا مـصـيـبـةَ بـعـدَ مـــوتِ خـيـرِ نبي

شنقيط رغـمَ الـنَّـوى والبُعد قائلةٌ:
يـا راحلًا لـمْ تـمـتْ كلًّا ولـمْ تـغـبِ

مهرجان الدوحة الثقافيُّ
حين أصبحت الثقافة مشروع دولة



لقطة من أوبريت مواكب الفرح في افتتاح مهرجان الدوحة الثقافي 2005

عادل الكلدي اليافعي

لم تكن نهضة الأمم، عبر التاريخ، وليدة الاقتصاد وحده، ولا ثمرة العمران بمعناه المادّي فحسب، بل كانت الثقافة -أيضًا- أحد أهمِّ المؤشِّرات على نضج الدول واستقرارها وثقتها بنفسها، دائمًا؛ فحين تضع دولةُ الثقافةَ ضمن أولويَّات مشروعها الوطنيِّ، فإنها لا تسعى إلى تنظيم فعَّاليات موسميَّة أو إقامة احتفالات عابرة، وإنما تعمل على بناء الإنسان، وترسيخ الهويَّة، وصياغة صورة حضاريَّة تتجاوز حدودها الجغرافيَّة.

ومن هذا المنطلق، شهدت دولة قطر، مع مطلع الألفيَّة الجديدة، مرحلة استثنائيَّة من تاريخها الثقافيِّ، تزامنت مع مشروعٍ تنمويٍ شامل، قادَهُ سموُّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، والذي لم تقتصر رؤيته على تحديث البنية التحتيَّة أو تطوير الاقتصاد، بل امتدَّت لتشمل الاستثمار في الإنسان والثقافة والتعليم والإعلام، بوصفها ركائز أساسيَّة في بناء الدولة الحديثة.



مدينة للحوار والإبداع والمعرفة

ولعلَّ مهرجان الدوحة الثقافيّ، الذي انطلقت دورته الأولى في العشرين من مارس عام (2002)، كان أحد أبرز تجلّيات هذه الرؤية، فقد جاء المهرجان في وقت كانت المنطقة العربيَّة تشهد فيه ركودًا عامًّا، بينما كانت قطر ترسم لنفسها مسارًا مختلفًا، يقوم على الانفتاح الثقافيّ، واستضافة المبدعين، وتعزيز الحوار بين الحضارات، وإبراز الثقافة، باعتبارها لغة جامعة بين الشعوب.

لم يكن المهرجان تجمُّعًا سنويًّا للشعراء أو المسرحيّين أو الفنَّانين، فحسب، بل أصبح -أيضًا- خلال سنوات قليلة منصّة عربيَّة مرموقة، استقطبت كبار المفكّرين والأدباء والمبدعين من مختلف أنحاء العالم العربيّ، وخارجه، وأسهمت في ترسيخ مكانة الدوحة بوصفها مدينة للحوار والإبداع والمعرفة.

ومَنْ يقرأ تاريخ المهرجان، اليوم، بعد ما يزيد على عقدَيْن من انطلاقته، يدرك أن الحديث عنه لا يمكن أن يقتصر على سرد أسماء الضيوف أو تعداد الفعَّاليات التي احتضنها، فذلك لا يتجاوز ظاهر الحدث، أمَّا جوهر التجربة فيكمن في الرسالة التي حملها، وفي الأثر الذي تركه في المشهد الثقافيّ القطريّ، والعربيّ.

لقد أدركت القيادة القطريَّة، بقيادة سموّ الأمير الوالد، مبكّرًا، أن التنمية الحقيقيَّة لا تكتمل إلَّا بتنمية الوعي، وأن بناء المدن لا ينفصل عن بناء الإنسان؛ لذلك جاء الاهتمام بالثقافة جزءًا من رؤية أشمل، تجلَّت في دعم المؤسَّسات التعليميَّة، وإنشاء المراكز الثقافيَّة، ورعاية الفنون، وتشجيع الإنتاج الفكريّ، واستضافة المؤتمرات والفعَّاليات الدوليَّة التي جعلت من الدوحة محطَّة رئيسة للحوار الفكريّ، والثقافيّ.

صناعة المستقبل

وفي هذا السياق، لم يكن مهرجان الدوحة الثقافيُّ حدثًا منفصلاً عن بقيَّة مشاريع النهضة، بل كان امتدادًا طبيعيًا لها؛ فكما كانت قطر تبني جامعاتها ومؤسَّساتها الإعلاميَّة، وتطوِّر بنيتها الاقتصاديَّة، كانت - في الوقت ذاته - تؤسِّس لمشروع ثقافيّ يؤمن بأن الإبداع والمعرفة عنصران أساسيَّان في صناعة المستقبل.



لقطة فوتوغرافية من معرض الفنون البصرية بمهرجان الدوحة الثقافي

ومن اللافت أنَّ افتتاح الدورة الأولى للمهرجان جاء برعاية وحضور سموِّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله)، في رسالة واضحة تؤكِّد المكانة التي تحتلُّها الثقافة في المشروع الوطنيِّ؛ ولم يكن هذا الحضور بروتوكوليًّا، بل حمل دلالات عميقة، مفادها أن الثقافة ليست نشاطًا هامشيًّا، بل خيارًا إستراتيجيًّا يحظى باهتمام القيادة العليا للدولة.

وقد انعكس هذا التوجُّه في طبيعة البرنامج الثقافيِّ للدورة الأولى، التي لم تقتصر على الأمسيَّات الشعريَّة والعروض الفنِّيَّة، بل ضمَّت -أيضًا- ندوات فكريَّة، ناقشت قضايا الثقافة العربيَّة، والحوار الحضاريّ، والإبداع، إلى جانب عروض مسرحيَّة، ومعارض تشكيليَّة؛ وهو ما منح المهرجان - منذ انطلاقته - بُعدًا عربيًّا، وآخر دوليًّا يتجاوزان المفهوم التقليديّ للمهرجانات.

كما حمل أوبريت "قطر المجد" في الدورة الأولى، مرورًا بـ"وطن وقائد" في الدورة الثانية، ثم الأعمال التي تلتها، رسالة وطنيَّة جسَّدت الاعتزاز بالهويَّة والانتماء، وعكست الطموح الذي كانت تعيشه الدولة في تلك المرحلة. ولم يكن اختيار هذا اللون الفنِّيّ مصادفة، إذ تحوَّلت الأوبريتات، في الدورات اللاحقة، إلى نافذة تقدِّم، من خلالها، سرديَّتها الثقافيَّة، والوطنيَّة، بأسلوب يجمع بين الشعر والموسيقى والصورة المسرحيَّة.

مشروع نهضويٌّ متكامل

وخلال السنوات السبع التي استمرَّ فيها المهرجان: من عام (٢٠٠٧) حتى عام (٢٠١٣)، لم يكن التطوُّر مقتصرًا على زيادة عدد الفعَّاليات، أو تنوُّع الضيوف، بل شمل -أيضًا- اتِّساع دائرة التأثير؛ فقد أصبحت الدوحة موعدًا سنويًّا ينتظره المثقَّفون العرب، ومكانًا يلتقي فيه الشعراء بالمفكِّرين، والمسرحيُّون

> أصبحت الدوحة موعدًا سنويًّا ينتظره المثقَّفون العرب

بالفنَّانين، والباحثون بالإعلاميّين، في مشهد يعكس حيويَّة الحركة الثقافيَّة التي كانت تشهدها الدولة.

ولعلَّ من أبرز ما ميَّز مهرجان الدوحة الثقافيّ أنه حافظ على توازنه بين الانفتاح على الثقافات المختلفة، والتمسُّك بالهويَّة العربيَّة والإسلاميَّة؛ فلم يكن انفتاحًا يذيب الخصوصيَّة، ولا انغلاقًا يحول دون التواصل مع الآخر، بل نموذجًا لحوار حضاريٍ يقوم على الثقة بالذات واحترام التنوُّع.

هذا التوازن هو الذي منح المهرجان شخصيَّته الخاصَّة، وجعل حضوره يتجاوز حدود قطر، ليصبح أحد أبرز الملتقيات الثقافيَّة العربيَّة في تلك المرحلة، وتحظى فعَّالياته بمتابعة واسعة في الصحافة العربيَّة ووسائل الإعلام المختلفة.

وليس من قبيل المصادفة أن يتزامن هذا الحراك الثقافيُّ مع صعود الدوحة بوصفها مركزًا إقليميًّا للمؤتمرات والحوارات الدوليَّة، فالثقافة كانت أحد الوجوه التي قدَّمت بها قطر نفسها إلى العالم، إلى جانب التعليم والإعلام والدبلوماسيَّة.

لذلك، إن قراءة مهرجان الدوحة الثقافيّ بمعزل عن السياق الوطنيّ الذي نشأ فيه، تفقده كثيرًا من معناه. أمَّا حين يُنظر إليه بوصفه جزءًا من مشروع نهضويٍ متكامل، فإن صورته تصبح أكثر وضوحًا، ويغدو فهم أثره أكثر عمقًا؛ ذلك أن المهرجان لم يكن غاية في ذاته، بل كان وسيلة لإيصال رسالة حضاريَّة؛ مفادها أن الثقافة قادرة على أن تكون جسرًا للتواصل، ومنصَّة للحوار، وأداة لبناء صورة الدولة في محيطها العربيّ، والدوليّ.

وإذا كانت الدورة الأولى قد أعلنت ميلاد مهرجان جديد على خارطة الثقافة العربيَّة، فإن السنوات التي تلتها أثبتت أن الأمر لم يكن تجربة عابرة بل مشروعًا يتطوَّر عامًا بعد آخر، ويكتسب، في كلِّ دورة، مزيدًا من النضج والانتشار والتأثير.

ولعلَّ أهمَّ ما يميِّز مهرجان الدوحة الثقافيّ أنه لم يقع في فخِّ التكرار، وهو الفخُّ الذي وقعت فيه مهرجانات عربيَّة كثيرة؛ فكلُّ دورة كانت تحمل ملامح جديدة، وتُقدِّم موضوعات مختلفة، وتستضيف أسماءً متنوِّعة، حتى أصبح الجمهور ينتظر ما ستُقدِّمه الدورة المقبلة، لا ما قدَّمته الدورة السابقة.

وهنا، تتجلَّى قيمة الإدارة الثقافيَّة الواعية؛ فالمهرجان لم يكن جدولاً للفعَّاليات فحسب، بل كان -أيضًا- مشروعًا متجدِّدًا يسعى إلى قراءة الواقع الثقافيّ العربيّ، والاستجابة لتحوُّلاته مع الحفاظ على رسالته الأساسيَّة القائمة على تعزيز الهويَّة والانفتاح، في آن واحد.

رسالة وطنيَّة وإنسانيَّة

لقد أدرك القائمون على المهرجان أن الثقافة ليست نشاطًا جامدًا، بل كائنًا حيًّا يتطوَّر مع الزمن؛ ولذلك حافظ المهرجان على تنوُّعه بين الشعر والمسرح والموسيقى والفنون التشكيليَّة والندوات الفكريَّة والمعارض والأسابيع الثقافيَّة، ليخاطب مختلف



مهرجان الدوحة الثقافي أصبح حدثًا ينتظره الجمهور سنويًا

شرائح المجتمع، ويجمع بين المتخصّصين والجمهور العامّ في فضاء واحد، واستضاف فعّاليات عالميّة، كان يُعَدُّ من الأحلام أن تقدِّم عروضها في الدول العربيّة، فما بالك في الدول الخليجيّة؟ فسموُّ الأمير الوالد، برؤيته الثاقبة، استطاع أن يجد للضوء نافذة اتّسعت مع الزمن لتفتح أبوابًا ومساراتٍ إلى يومنا هذا.

ومن خلال هذا التنوُّع، استطاعت الدوحة أن تقدِّم نموذجًا مختلفًا للمهرجان الثقافيّ؛ نموذجًا لا يكتفي بعرض الأعمال الفنّيّة، بل يخلق مساحة للحوار والتفاعل، ويجعل من الثقافة وسيلة للتقارب بين الشعوب.

ومن أبرز الملامح التي ارتبطت بمهرجان الدوحة الثقافيّ الأوبريت الافتتاحيُّ، الذي أصبح، مع مرور السنوات، جزءًا من هويّة المهرجان؛ ففي كلّ دورة، تقريبًا، كان الجمهور ينتظر العمل الافتتاحيّ الذي يجمع بين الشعر والموسيقى والأداء المسرحيّ، ليُقدِّم رسالة وطنيّة أو إنسانيّة، تعبّر عن روح المرحلة.

ولم تكن هذه الأعمال لوحات فنّيّةً، فحسب، بل كانت تُعبّر -أيضًا- عن رؤية ثقافيّة متكاملة، تستلهم التاريخ، وتستحضر الهويّة، وتطلُّ على المستقبل، وهنا تكمن أهمّيّة هذه الأعمال؛ فهي لم تكن تقدِّم المتعة الفنّيّة فحسب، بل كانت توثق -أيضًا- مرحلة كاملة بلغة الشعر، والموسيقى، والصورة.

صورة إيجابيّة

خلال سنوات قليلة، أصبحت الدوحة محطّة سنويّة لكثير من رموز الثقافة العربيّة. هذا التراكم هو الذي صنع المكانة؛ فالعواصم الثقافيّة لا تُبنى بقرار إداريٍّ، بل تبنى حين تصبح مقصدًا طبيعيًا للمبدعين، وهذا ما نجحت فيه الدوحة خلال تلك المرحلة.

ولعلَّ المتابع للتغطيات الصحفيّة العربيّة، في تلك السنوات، يلاحظ اتّساع مساحة الحديث عن المهرجان، عامًا بعد عام؛ لا باعتباره فعّاليّة محلّيّة، إنما باعتباره أحد أبرز اللقاءات الثقافيّة العربيّة، وهو ما يعكس حجم الاهتمام الذي حظيت به التجربة خارج حدود قطر، وكرّست رؤية القيادة في النفاذ، من خلال الثقافة، الى العالم.

حين يُذكر مفهوم القوّة الناعمة، يتّجه الذهن، غالبًا، إلى الإعلام أو السينما أو الفنون، غير أن مهرجان الدوحة الثقافيّ قدّم نموذجًا عمليًّا لكيفيّة توظيف الثقافة في تعزيز الحضور الحضاريّ للدولة.

ولا يعني ذلك أن المهرجان أُقيم لهذا الغرض وحده، فالثقافة لها قيمتها الذاتيّة قبل أي اعتبار آخر، لكن من الطبيعيّ أن يسهم نجاح مشروع ثقافيٍّ بهذا الحجم في تكوين صورة إيجابيّة عن الدولة التي تحتضنه.

لقد غادر آلاف الضيوف الدوحة، بعد مشاركتهم في فعّاليات المهرجان، وهم يحملون معهم انطباعات عن مجتمع يفتح أبوابه للمبدعين، ويؤمن بالحوار، ويمنح الثقافة مكانتها اللائقة، وهذا النوع من الانطباعات لا يمكن قياسه بالأرقام، لكنه يترك أثرًا عميقًا في الوعي الجمعيّ، ويصبح جزءًا من الصورة التي تتشكّل عن الدول في أذهان الشعوب.

ومن الخطأ النظر إلى مهرجان الدوحة الثقافيّ بوصفه حدثًا مستقلًّا عن بقيّة المشروعات الوطنيّة التي شهدتها قطر في تلك المرحلة؛ فالسنوات نفسها كانت تشهد توسُّعًا في المؤسّسات التعليميّة، وحراكًا إعلاميًّا متناميًا، واهتمامًا متزايدًا بالتراث، واستقطابًا للمؤتمرات الدوليّة؛ الأمر الذي جعل الثقافة تتحرّك ضمن منظومة وطنيّة متكاملة، لا بمعزل عنها.

من هنا، إن نجاح المهرجان لم يكن نتاج جهود القائمين عليه وحدهم، فحسب، بل كان -أيضًا- ثمرة بيئة وطنيّة آمنت بأن الثقافة عنصر من عناصر التنمية، لا نشاطٌ تكميليٌّ يأتي بعد اكتمال البناء؛ وهذا ما يفسّر استمراريّة المهرجان وتطوُّره طوال سبع دورات متتالية، محافظًا على حضوره وتأثيره، ومضيفًا، في كلّ عام، صفحة جديدة إلى سجلّ الحركة الثقافيّة في قطر.

الثقافة ركيزة التنمية

لم تنتهِ قصّة مهرجان الدوحة الثقافي بإسدال الستار على دورته السابعة عام (2008)، لأن قيمة المشروعات الثقافيّة الكبرى لا تُقاس بعدد السنوات التي استمرَّت فيها، بل بما تتركه من أثر في الوعي العامّ، وفي ذاكرة الشعوب، وفي صورة الأوطان.

اليوم، وبعد مرور أكثر من عقدَيْن على انطلاقته، ما يزال المهرجان حاضرًا في ذاكرة كلّ مَنْ عايشه؛ ليس لأنه كان مناسبة سنويّة فحسب، بل لأنه ارتبط -أيضًا- بمرحلة كاملة من تاريخ قطر؛ مرحلة كانت الدولة فيها ترسم ملامح مشروعها الحضاريّ بثقة، وتؤمن بأن الثقافة ليست ترفًا فكريًّا، بل ركيزة من ركائز التنمية.

ولعلَّ من الإنصاف القول إنّ مهرجان الدوحة الثقافيّ لم يكن المشروع الثقافيّ الوحيد الذي شهدته قطر في تلك السنوات، لكنه كان - بلا شكٍّ - أحد أكثرها حضورًا وتأثيرًا، لأنه جمع، في مساحة واحدة، كلَّ ألوان الثقافة وأشكالها، وجعل من الدوحة منصّة يلتقي عليها المبدعون العرب، ويتحاورون حول قضايا الثقافة والهويّة والمستقبل.

وقد نجحت الدوحة، عبر هذا المهرجان، في أن ترسل رسالة واضحة إلى العالم؛ مفادها أن الاستثمار في الثقافة ليس أقلَّ أهمّيّة من الاستثمار في الاقتصاد أو التعليم أو البنية التحتيّة، وأن بناء الإنسان يبدأ من بناء وعيه، واحترام عقله، وإتاحة الفرصة

أمامه للتفاعل مع الإبداع والمعرفة.

ولم يكن هذا التوجُّه منفصلاً عن الرؤية العامَّة التي انتهجتها الدولة في تلك المرحلة، والتي قامت على تنويع أدوات التنمية، والانفتاح على التجارب العالميَّة مع المحافظة على الهويَّة الوطنيَّة، والعربيَّة، والإسلاميَّة؛ لهذا، إن الحديث عن مهرجان الدوحة الثقافيّ لا ينبغي أن يكون حديثًا عن الفعَّاليات وحدها، بل عن الفلسفة التي وقفت وراءها، واستشراف المستقبل بوعي القيادة التي رعتها؛ فكلُّ مهرجان ناجح يحتاج إلى إدارة جيّدة، لكن المهرجانات التي تعيش طويلاً في الذاكرة تحتاج إلى رؤية، والرؤية هي التي تجعل من الأمسيَّة الشعريَّة أكثر من أمسيَّة، ومن المسرحيَّة أكثر من عرض، ومن الندوة أكثر من لقاء؛ لأنها تضع كلَّ ذلك ضمن مشروع متكامل لبناء الإنسان والمجتمع.

لقد كان واضحًا أن المهرجان لم يكن يسعى إلى استضافة أسماء لامعة من أجل الحضور الإعلاميّ، فقط، بل كان يحرص -أيضًا- على إيجاد حالة ثقافيَّة يعيشها المجتمع القطريُّ، ويتفاعل معها ضيوف الدولة، لتصبح الثقافة مساحة مشتركة للحوار والتبادل المعرفيّ.

تاريخ ثقافيٌّ حقيقيٌّ

إن أجمل ما في التجارب الثقافيَّة الكبرى أنها لا تنتهي بانتهاء برامجها، بل تستمرُّ في ذاكرة الذين شاركوا فيها؛ فكم من شاعر عاد إلى بلده، وهو يحمل تقديرًا جديدًا لقطر!، وكم من كاتب كتب عن الدوحة بعد أن زارها للمرَّة الأولى!، وكم من فنَّان اكتشف جمهورًا جديدًا من خلال مشاركته في فعَّاليات المهرجان!.

هذه التفاصيل الصغيرة لا تظهر في البيانات الرسميَّة، لكنها هي التي تصنع التاريخ الثقافيّ الحقيقيّ؛ لذلك، إن توثيق مهرجان الدوحة الثقافيّ، اليوم، لا يمثِّل استعادةً لذكريات جميلة فحسب، إنما يمثِّل -أيضًا- حفظًا لجزء مهمٍّ من الذاكرة الثقافيَّة لدولة قطر؛ فالذاكرة الوطنيَّة لا تُبنى بالأحداث السياسيَّة وحدها، إنما تتشكَّل -أيضًا- من الكتب التي أُلِّفت، والقصائد التي أُلقِيت، والمسرحيَّات التي عُرِضت، والحوارات التي دارت، واللقاءات التي جمعت المبدعين على أرض واحدة.

من هنا، تبرز أهمِّيَّة إعادة قراءة هذه التجربة بعيدًا عن الحنين المجرَّد، وبمنهج علميّ يربط الوقائع بسياقها التاريخيّ، ويحلِّل أثرها في الحركة الثقافيَّة القطريَّة، والعربيَّة.

إن ما تحقَّق، خلال السنوات الممتدَّة من (ZOOZ) إلى (ZOOX)، يستحقُّ أن يُدرَّس بوصفه محطَّة مهمَّة في مسيرة الثقافة القطريَّة، وأن يُحفظ في ذاكرة الأجيال القادمة؛ لا بوصفه فصلاً من الماضي، بل بوصفه جزءًا من المسيرة التي أسهمت في تشكيل الحاضر، وجسَّدت رؤية سموِّ الأمير الوالد التي أثبتت أن الثقافة، حين تحظى بالرؤية والدعم والاستمراريَّة، تتحوَّل إلى قوَّة بناء، وإلى جسر يربط بين الشعوب، وإلى لغة يفهمها الجميع، مهما اختلفت أوطانهم.

وفي هذا السياق، يبقى اسم حضرة صاحب السموِّ، الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (رحمه الله) حاضرًا في ذاكرة تلك المرحلة، بوصفه راعيًا لمشروع نهضويٍ واسع، كانت الثقافة أحد مكوِّناته الرئيسة، إلى جانب التعليم والإعلام والتنمية، وهذه حقيقة تؤكِّدها المبادرات والمؤسَّسات التي شهدتها السنوات الماضية، كما تؤكِّدها الرعاية التي حظيت بها الأنشطة الثقافيَّة، بمختلف مستوياتها.

صفحة مضيئة

عندما أُطفئت أضواء آخر دورة من مهرجان الدوحة الثقافيّ عام (ZOOX)، انتهى برنامج مهرجان، لكن أثر التجربة لم ينتهِ؛ فالأمسيَّات انقضت، والعروض أُسدِل ستارها، وغادر الضيوف إلى أوطانهم، غير أن الفكرة بقيت.. بقيت في ذاكرة المثقَّفين الذين مرُّوا بالدوحة، وفي أرشيف الصحف التي وثَّقت تلك السنوات، وفي وجدان كلِّ مَن أدرك أن الثقافة كانت (وما زالت)، إحدى ركائز بناء الإنسان والدولة.

إن الأمم التي تحفظ ذاكرتها الثقافيَّة إنما تحفظ جزءًا من هويَّتها، لأن الثقافة ليست سجلًّا للأحداث، بل سجلًّا للأفكار التي صنعت تلك الأحداث.

ولعلَّ مهرجان الدوحة الثقافيّ كان أحد أبرز الشواهد على مرحلة، آمنت فيها قطر بأن النهضة لا تُقاس بما يُبنى من حجر، فقط، إنما بما يُبنى في العقل والوجدان، أيضًا.

ومن هنا، إنّ استعادة هذه التجربة ليست استدعاءً للماضي، بل قراءة لمرحلة كان لها أثرها في رسم ملامح الحاضر، وستظلّ جديرة بالدراسة والتوثيق، لأنها تمثِّل صفحة مضيئة في تاريخ الحركة الثقافيَّة القطريَّة.

جائزة الشيخ حمد للترجمة من العربيَّة إلى البشريَّة



في هذا العدد من مجلَّة "الدوحة"، ومع وداع مؤسِّس الجائزة وراعيها سموِّ الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، نعود إلى كلماته النيِّرة، ونوضِّح كيف أسهمت الجائزة في إثراء عالم الترجمة في الوطن العربيِّ، حيث يقول الأمير الوالد (رحمه الله) في كلمته الافتتاحيَّة لكتابٍ تذكاريٍّ عن الجائزة: "أنشأنا هذا المشروع لِما أدركناه من الأهمِّيَّة القصوى للترجمة من لغات العالم إلى اللغة العربيَّة، ومن العربيَّة إلى شتَّى لغات العالم.. أصبح كلّ مترجم يصبو إلى أن يكون لترجمته مكان بين الأعمال التي تنافس وتفوز؛ مما عاد على الترجمة بالرقيِّ والنضج المطلوب.. نُدرِك أنَّ هذا جانب مهمٌّ لخدمة ثقافتنا، ولغتنا العربيَّة، وإغنائها بثمرات العقول البشريَّة في شتَّى اللغات، كما أدركنا ضرورة نقل ثقافتنا؛ قديمها وجديدها، إلى شتَّى اللغات الحيَّة.. وقد حقَّق هذا المشروع ثماره بحمد الله.. حيث فاز كثيرون من مختلف اللغات الحيَّة عبر العالم.. شملت الجائزة كذلك ميادين القواميس والمعاجم، والجوائز التشجيعيَّة للمترجمين الشباب وللمؤسَّسات الناشئة ذات الجهد الترجميِّ، وغطَّت مجالات الترجمة شتَّى التخصُّصات الإنسانيَّة.. إنَّ ما نقوم به يعتمد على فلسفة مفادها أنَّ مستقبلنا يكمن في إطلاق أثمن الموارد على الإطلاق؛ ألا وهو الإنسان".

بناء الإنسان

بهذه الرؤية، آمن الأمير الوالد سموُّ الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بأن بناء الأوطان يبدأ ببناء الإنسان، وبأن التعليم والمعرفة والثقافة هي الطريق إلى المستقبل، وأن المجتمعات الإنسانيَّة ليست جُزرًا معزولة، بل خلايا لجسد واحد تزداد حيويَّة كلَّما زاد التواصل بينها.

ومن هذا الإيمان، انطلقت مؤسَّسات ومبادَرات حملَت اسم قطر ورسالتها إلى العالم، وجعلت من المعرفة أساسًا للتقدُّم، ومن الحوار وسيلة للتقارب، ومن الانفتاح على الثقافات طريقًا إلى التفاهم والسلام.

وكانت جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدوليّ من أبرز تجلّيات هذه الرؤية، فكانت مشروعًا حضاريًّا يُكرِّم المترجمين، ويحتفي بالكتاب، وينقل المعرفة بين الثقافة العربيَّة وباقي الثقافات العالميَّة، ويفتح نوافذ متبادلة بين الشعوب والمجتمعات، في عالم بات أحوج ما يكون إلى التفاهم الدوليّ.

فالترجمة، في هذا المشروع، لم تكُن نقلاً للكلمات فحسب، بل هي -أيضًا- جسر يصل بين العقول، ومساحة يلتقي فيها المختلفون، وطريق لفهم الآخر واحترامه.

ومنذ انطلاقها، حملت الجائزة اسم الأمير الوالد إلى مختلف أنحاء العالم؛ فاختارت إحدى وأربعين لغة كلغات رسميَّة، وكرَّمت مئتين وثمانيةً وستّين فائزًا من اثنتَيْن وخمسين دولة، فيما جابت وفودها أكثر من أربعين دولة؛ بحثًا عن أهمِّ التجارب الإنسانيَّة في الترجمة، ولبناء شبكة علاقات وتأثير فريدة. وهكذا، تحتفي الجائزة بمن جعلوا من الكلمة جسرًا، ومن المعرفة رسالة، ومن الترجمة عملاً في خدمة الإنسان.

شهادات الفائزين

ومع حصول كثير من المترجمين على الجائزة، نقرأ في الكتاب التذكاريِّ للجائزة شكر المترجمين لسموِّ الأمير الوالد على الجائزة، ربَّما لا توجد شهادة على نجاح مشروع ثقافيّ أصدق من شهادة مَنْ عاشوا تجربته مباشرةً. وعلى مدى عشر دورات، تحدَّث عشرات المترجمين من قارّات العالم المختلفة عن الأثر الذي تركته الجائزة في مسيرتهم، وفي مكانة الترجمة نفسها.

يقول المترجم فارس يواكيم الفائز بالجائزة في دورة عام (Z01X): "وفي هذا المقام لا يفوتني أن أثمِّن سخاء الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، الذي تحمل الجائزة اسمه، وهي وُجدت بفضله، وقد وهب لها، حتى الآن، الملايين من ماله الخاصّ".

ويقول المترجم الفائز بالجائزة محمود كراليتش (من البوسنة والهرسك): "لقد تركت جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدوليّ أثرًا كبيرًا في حياتي.. وأعطتني الجائزة الثقة بأن هناك من يُقدِّر الجهود المبذولة في الترجمة". وأشار كذلك إلى القيمة المادِّيَّة لجائزة الشيخ حمد بقوله: "ساعدتني قيمة الجائزة المادِّيَّة على اختيار نوعيَّة الكتب التي أترجمها".

يقول المستشرق أسعد دوراكوفيتش، ومن ضِمن ترجماته "معاني القرآن الكريم"، وكتاب "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة البوسنيَّة: "إنَّ للجائزة صدًى إيجابيًّا جدًّا في البوسنة والهرسك".

بيت الحكمة الجديد

يذكر المترجم الصينيُّ الفائز بالجائزة شوي تشنغ قوه بسام أن "جائزة الشيخ حمد جعلت من الدوحة بيت الحكمة الجديد"، في استحضار مباشر لدار الحكمة العبَّاسيَّة التي كانت، يومًا، منارة الترجمة والعلم في العالم الإسلاميّ، وتحدَّث كذلك عن أثر الجائزة في حركة الاستعراب والترجمة في الصين، وأن الجائزة شجَّعت المترجمين الصينيِّين - لا سيَّما الشباب - على الإقبال على الترجمة بين العربيَّة والصينيَّة بحماس أكبر، وجدِّيَّة أكثر.

أمَّا المترجم الباكستاني عبد الحيّ أبرو، فيصف الجائزة بأنها "ملتقى البشر، ومجمع الثقافات، ومعمل الحضارات"، فيما يختصر المترجم المغربيُّ محمَّد الديداوي فلسفته في التعامل مع هذا التكريم بعبارة دالَّة، فيقول: "الجائزة تكليف لا تشريف"؛ أي مسؤوليَّة تُضاف، لا وسام يُعلَّق.

ويؤكِّد الباحث الأمريكيُّ مايكل كوبرسون أنَّ "الجائزة امتداد للمشروعات المشجِّعة للترجمة على مدى العصور"، فيما تصف الباحثة يمنى طريف الخولي الجائزة بأنها "تجمع بين عبقريَّة الزمان وعبقريَّة المكان" في آنٍ واحد.

يقول المترجم بسَّام ياسين البزّاز: "جائزة الشيخ حمد دفعة معنويَّة واعتباريَّة على المستويَيْن: المهنيّ والشخصيّ، وهما عندي واحد".

ويقول المترجم العراقيُّ تحسين رزَّاق عزيزا: "لقد تركَت جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدوليّ أثرًا كبيرًا في حياتي، فقبل تشرُّفي بالحصول عليها لم أحصل على أيّ تكريم في بلادي، على الرَّغم من طول مسيرتي العلميَّة والعمليَّة والأكاديميَّة، وأعطتني الجائزة الثقة بأنَّ هناك مَنْ يُقيِّم الجهود المبذولة في الترجمة".

فيما يقول المترجم المصريُّ مارك جمال: "لقد تكلَّلتْ هذه المسيرة التي بدأت قبل عشر سنوات، بالفوز بالمركز الأوَّل (مكرَّرًا) في جائزة الشيخ حمد، عن ترجمة (خريف البطريرك) لغابرييل غارسيا ماركيز، لِتُقدَّم بذلك واحدة من أرقى الجوائز العالميَّة، وأعلاها شأنًا".

كتاب الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني
تمكين الشعب لقيادة مسيرة الوطن



د. قيس عبد العزيز الدوري

حين يلتقي النصُّ بالوثيقة، لا تأتي بعض الكتب في حياة الباحث والأكاديميّ، بوصفها إصدارات تُضاف إلى رفوف المكتبة، أو إسهامات عابرة في مجالات التوثيق فحسب، بل بوصفها -أيضًا- "شهود إثبات"، يتداخل فيها التاريخ الجاري مع الوثيقة المستقرّة.

وقد وصل إلى يدي كتاب "الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر (1995-2013): تمكين الشعب لقيادة مسيرة الوطن"، للمؤلّف هيثم حسام الدين، في لحظةٍ استثنائيّة من مساري البحثيّ، بصفتي مؤرّخًا؛ إذ كنتُ أرابط بين المراجع والوثائق غارقًا في تأليف كتابي الخاصّ عن سموّ الأمير الوالد، متناولاً هذه التجربة التنمويّة الاستثنائيّة، استنادًا إلى المنظور الحضريّ والسياسيّ لـ "نظريّة ابن خلدون" في قيام الدول، وتحوُّل العصبيّة إلى بناء العمران.

ولئن كان القدر نافذًا، ولَمْ يُتَحْ لي أن أنهي كتابي، لأتشرّف بإهدائه - شخصيًّا - إلى سموّه، فإن الحقيقة الأزليّة التي تعلّمُنا إيّاها دروس التاريخ هي أن الوفاء لرموز التحوُّل الحضاريّ لا يكون إلا باستكمال أمانة الكلمة، وتوثيق المحطّات الفارقة التي غيّرت خريطة الجغرافيا وحسابات السياسة.

من هنا، لم يكن هذا الكتاب - بالنسبة إليّ - إصدارًا يُقرأ فحسب، بل غدا -أيضًا- نافذة إستراتيجيّة، ومأوًى وثائقيًّا، أرى من خلاله، تفاصيل تلك الصورة الكبرى؛ صورة القيادة التي لم تُرِدْ للحكم أن يكون إدارة للحاضر فقط، بل أرادت له أن يكون -أيضًا- جسرًا عريضًا يعبر بالأمّة نحو المستقبل.



صفحة من الكتاب

صنعة التوثيق وضبط المادَّة التاريخيَّة

إنَّ أوَّل ما يستوقف الباحث التاريخيّ، في هذا السِفْر، هو الانضباط المنهجيُّ الصارم الذي تحقَّق بفضل المراجعة الدقيقة والعميقة، كما وضَّح ذلك في مقدِّمة الكتاب، للباحث الأستاذ الدكتور محمد حرب فرزات.

لقد سما هذا الكتاب ليغدو مرجعًا أرشيفيًّا مهمًّا، وضع مضمون هذه السيرة الحافلة ضمن إطارها التاريخيّ والزمنيّ الدقيق، متوِّجًا العمل بمادَّة تاريخيَّة تمهيديَّة، تُعدُّ مدخلًا إستراتيجيًّا لا غنى عنه لفهم الإرهاصات والمُقدِّمات التي سبقت صعود هذه التجربة.

وتتجلَّى قيمة هذا الكتاب في كونه ثمرة لتفاعل مؤسَّسيّ وأكاديميّ رفيع، حيث تضافرت فيه جهود فريق عمل ضمَّ كلًّا من: الشيخ خالد بن فالح آل ثاني، ود. سيف الحجري، ود. أسامة مهنا، ود. رلى مريشه، وغزوان عيسى، وعاصم الصالح، ومحمَّد الأندلسي، ومحمَّد عوض، وجاك سابا. هذا التناغم بين الروح البحثيَّة الميدانيَّة والنظرة الأكاديميَّة الرصينة أثمر دراسة سياسيَّة تاريخيَّة رفيعة المستوى، لا تكتفي برصد الوقائع بل تغوص في فلسفة حكم الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، متتبِّعة - بالدليل والتحليل - فكرة السلسلة الذهبيَّة في مشروعه: تمكين الشعب لقيادة مسيرة الوطن.

رقم محوريٌّ على خريطة الطاقة

تَمَّ تقسيم الكتاب إلى محاور عدَّة، هي:

المحور الأوَّل "التحوُّل الاقتصادي وصناعة الرؤية الاستراتيجيَّة"، حيث تُعلّمنا علوم السياسة وتاريخ القوى الناشئة أن الاستقلال الوطنيّ الحقيقيّ لا يستقيم إلا بشرطَيْن: رؤية اقتصاديَّة نافذة، وإرادة سياسيَّة جسورة، وهذا ما تجلّى، بصورة قاطعة، في التجربة القطريَّة، من خلال صناعة الغاز الطبيعيّ وتحدِّي الجغرافيا.

لم تكن قصَّة تطوير "حقل شمال قطر" للغاز الطبيعيّ المسال خطوة في إدارة الموارد النفطيَّة فحسب، بل كانت

-أيضًا- عمليَّة اقتحام جسور للظروف والديناميكيات الاقتصاديَّة العالميَّة في تسعينيَّات القرن الماضي، ففي وقت كانت المخاطر فيه عالية، والشكوك تحوم حول جدوى الاستثمارات الضخمة في الغاز، اتُّخِذ القرار الإستراتيجيُّ الحاسم بدخول هذا القطاع، وبفضل تلك الجرأة التنفيذيَّة، تحوَّلت الجغرافيا السياسيَّة لقطر من دولة تبحث عن موقعها الإقليميّ إلى رقم محوريٍ على خريطة الطاقة والتوازنات الدوليَّة.

الأذرع السياديَّة وحماية المستقبل

نقرأ في الكتاب كيف استطاعت قطر – من خلال تأسيس جهاز قطر للاستثمار؛ هذا الصندوق السيادي العالميِ – أن تغرس جذورها الاقتصاديَّة في كبرى الشركات والمؤسَّسات الماليَّة عبر القارات؛ فلم تكن هذه الاستثمارات أرقامًا في حسابات الأرباح فحسب، بل كانت -أيضًا- أدوات حماية إستراتيجيَّة للأجيال القادمة، وتأمينًا للقرار السياسيِ الوطنيِ، بعيدًا عن تقلُّبات الأسواق التقليديَّة.

أمَّا المحور الثاني "أبعاد التمكين والمسؤوليَّة الاجتماعيَّة وحكم الشفافيَّة"، فيظهر جليًّا في البنية التحليليَّة للوثائق التي قدَّمها المؤلِّف الباحث هيثم حسام الدين؛ إذ إنَّ الرؤية القياديَّة لم تتعامل مع الحكم بوصفه ممارسة لسلطة مجرَّدة، بل بوصفه وعيًا عميقًا باستشعار الأخطار الحتميَّة التي تهدِّد المستقبل البشريَ.

لقد قام منطق قيادة الأمير الوالد – كما يبيِّن مؤلِّف الكتاب – على حتمية الاعتماد على القدرات الوطنيَّة الذاتيَّة، مع الاستعداد الدائم للتعامل مع الأزمات المتعدِّدة، وتحويل الفرص إلى أدوات مرجعيَّة تضمن الاستقرار، والتسامي التنمويَ.

المواطنة والتكافل الاجتماعيُّ

سار المجتمع القطريُّ نحو مصافِّ المجتمعات المتقدِّمة في النموِّ، من خلال ترسيخ أهمِّيَّة قيم المواطنة ومبادئ المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، ليتحوَّل التكافل من سلوك فرديٍ إلى مبدأ وطنيٍ عامٍ.

ومن خلال دولة القانون والشفافيَّة، تجسَّدت القدوة الحسنة في الالتزام بروح التواضع، مع صلابة التصميم على إثراء المجتمع، وتمتدُّ هذه السمة لتعزيز سيادة القانون، ودعم حقوق الإنسان، والحكم الرشيد، ومكافحة الفساد بصرامة غير مهادنة.

وتجلَّت ترجمة هذه الفلسفة القياديَّة - مؤسَّسيًّا - في إطلاق مبادرات نوعيَّة، منها تأسيس "شبكة قطر للمسؤوليَّة الاجتماعيَّة" عام (2007)، التي كانت حجر الزاوية في إنتاج مؤلَّفات حول المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، منها: روح الفريق - العمل التطوُّعي - المواطنة - الكتاب الوطنيُّ - التقدُّم المحرز. جاء ذلك بالشراكة مع جامعة قطر، وتحت رعاية معالي رئيس مجلس الوزراء، وبمشاركة واسعة استقطبت أكثر من (150) شخصيَّة قياديَّة وأكاديميَّة، وسفراء، ورؤساء هيئات ومؤسَّسات.

التنمية البشريَّة والإصلاحات السياسيَّة

في المحور الثالث من الكتاب "التنمية البشريَّة والإصلاحات السياسيَّة"، نجد أن مسألة التمكين البشريِ تتَّصل اتِّصالاً وثيقًا بإعادة صياغة العقل والبيئة الاجتماعيَّة، وهي الركيزة التي تجسَّدت في خطوات منهجيَّة حاسمة، من خلال ما يأتي:

1 – التعليم والبحث العلميُّ بوصفه ركيزة حضاريَّة، عبر إطلاق "مؤسَّسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع"، وبناء "المدينة التعليميَّة" واستقطاب كبريات الجامعات العالميَّة (كورنيل، جورجتاون، تكساس، وغيرها)، حيث لم يكن ذلك استيرادًا للمؤسَّسات فحسب، بل كان -أيضًا- توطينًا للعقل العلميِ، وتأسيسًا لبيئة بحثيَّة وطنيَّة.

2 – الإصلاحات السياسيَّة والدستوريَّة، حيثُ تجلَّت الحكمة السياسيَّة في صياغة الدستور الدائم لدولة قطر، وإقراره عبر استفتاء شعبيٍ شفَّاف؛ إذ أتاح ذلك وضع القواعد التأسيسيَّة لدولة المؤسَّسات والقانون، وعزَّز مفهوم المواطنة التشاركيَّة، وتوسيع نطاق التعدُّديَّة المؤسَّسيَّة المنظَّمة.

3 – الرعاية الاجتماعيَّة والبنية التحتيَّة، إذ أعادت التجربة القطريَّة صياغة مفهوم الرعاية الصحِّيَّة الشاملة، وبناء المستشفيات المتقدِّمة، وتأسيس شبكات الأمان الاجتماعيِ التي تضمن للمواطن حياة كريمة، بوصفه عنصًار فاعلاً ومحميًّا في قلب العمليَّة التنمويَّة.

وفي المحور الرابع "الدبلوماسيَّة الإقليميَّة والقوة الناعمة"، يوضِّح المؤلِّف استناد السياسة الخارجيَّة لدولة قطر، في الفترة التي يتناولها الكتاب، إلى مفهوم القوَّة الناعمة والوساطات النزيهة، من خلال صناعة السلام والوساطات التاريخيَّة. لقد نجحت الدبلوماسيَّة القطريَّة في وضع الدولة كملاذ آمن للحوار وفضِّ النزاعات، ومن أبرز شواهد ذلك اتِّفاق الدوحة الخاصِّ بلبنان عام (2008)، فضلاً عن رعاية ملفِّ سلام دارفور، والعديد من الوساطات المعقَّدة في أفريقيا والعالم العربيِ.

الثورة الإعلاميَّة والاستثمار في البنية الثقافيَّة والبنية الرياضيَّة

لقد شَكّل إطلاق شبكة الجزيرة الإعلاميَّة، عام (1996)، انطلاقة غير مسبوقة في الفضاء العربيّ والفضاء العالميّ، حيث كسرت احتكار المعلومة، وفرضت الرأي والرأي الآخر، لتتحوَّل إلى إحدى أبرز أدوات القوَّة الناعمة.

كما استثمرت الدولة - بحكمة - في البنية التحتيَّة الثقافيَّة والبنية الرياضيَّة استثمارًا بعيد المدى، وتُوِّجت هذه الإستراتيجيَّة، في ديسمبر (2010)، بفوز قطر التاريخيّ بتنظيم بطولة كأس العالم (2022).

وفي أوج هذه التحوُّلات، يطالعنا المحور الخامس في الكتاب "الانتقال السلس والسياق التاريخيُّ لترسيخ نموذج الحكم"؛ ويُمثِّل المحطَّة الأخيرة التي اختُتم بها الكتاب، وهي خطوة تسليم السلطة عام (2013)، إلى حضرة صاحب السموّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدَّى (حفظه الله)، الذروة الإستراتيجيَّة لهذا المشروع الوطنيّ؛ ففي عالم عربيّ طالما عانى من أزمات انتقال الحكم واهتزاز الشرعيَّات، قَدّمت قطر نموذجًا فريدًا ونادرًا في سلاسة انتقال المقاليد وتداول المسؤوليَّة. لقد كان تنازلاً واعيًا ومخطَّطًا له من قِبَل "الأمير الوالد"، لفسح المجال لجيل الشباب لقيادة المرحلة المقبلة، بروح تتَّسم بالثقة والتكامل واستدامة الرؤية.

تجربة تُدرَّس في أروقة الفكر السياسيّ

إن كتاب الأستاذ هيثم حسام الدين، بما حواه من دقَّة وثائقيَّة وتحليل إستراتيجيّ، ليس توثيقًا لسنوات حكم مضت بين (1995–2013) فحسب، بل هو -أيضًا- وثيقة تاريخيَّة حيَّة تقرأ كيف استطاعت الإرادة السياسيَّة الواعية أن تُحوِّل الموارد إلى اقتدار، والجغرافيا إلى نفوذ، والشعب إلى قائد لمسيرة التنمية.

يحتوي هذا العمل التوثيقيُّ على ما يقارب (55) صورة ملوَّنة، توثِّق هذه المسيرة، ويذكر (22) وسامًا دوليًّا حصل عليها سموُّه، ويختتم بقائمة للمصادر والمراجع، ضمن كتاب يقع في (456) صفحة.

يُعَدُّ هذا الإنجاز جزءًا لا يتجزَّأ من أداء الدَّيْن الحضاريّ لرمز قدَّم لوطنه وأمَّته تجربة ستظلُّ تُدرَّس في أروقة الفكر السياسيّ والتاريخيّ، لعقود طويلة، وأرى أن يكون هذا الكتاب حجر أساس لأطروحة دكتوراه في التاريخ بجامعة قطر، لطلبة الدراسات العليا.

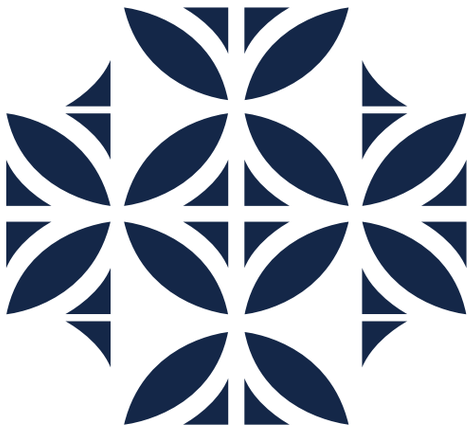
رحم الله سموَّ الأمير الوالد بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنَّاته، وبارك في مسيرة دولة قطر المتواصلة تحت قيادة سموِّ أميرها المفدَّى الشيخ تميم بن حمد آل ثاني (حفظه الله)، ظافرة بالتمكين، ومجيدة في صنع التاريخ.



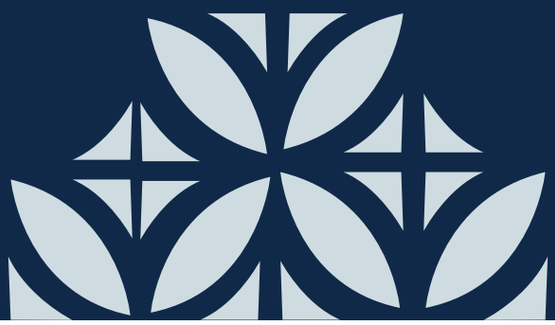
أنشئ في عهد سموه صندوق دعم الأنشطة الاجتماعية والرياضية (دعم)



وضع حجر أساس مشروع مشيرب قلب الدوحة (13 كانون الثاني/ يناير 2010)







مجلة الدوحة

